أجاثا كريستي

جريمة في وادي النيل

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

جريمة في وادي النيل

شخصيات الرواية

هيركول بوارو	: مخبر سري فرنسي متقدم في السن ، نادر الذكاء ، قصير بدين ، له شارب ضخم .
الكولونيل ريمي	: ضابط مخابرات بريطاني ، مكلف بتعقب عصابة دولية من الأشقياء والمتآمرين .
لينيت ريدجواي	: شابة مليونيرة رائعة الجمال .
لورد ويندلشام	: شاب امريكي من الطبقة الارستقراطية يريد الزواج من لينيت ريدجواي .
جاكلين دي بلفور	: حسناء صديقة لينيت ومن زميلاتها في المدرسة ، أصابها الفقر بعد غنى .
سيمون دويل	: شاب فقير ، وسيم ، خطيب جاكلين .
جوانا ساوثوود	: صديقة لينيت، ومن المتلسبات للطبقة الراقية الانجليزية.
تيم آلرتون	: ابن خالة جوانا ، شاب راق مستور الحال
السيدة آلرتون	: أم تيم .. أرملة ساحرة الشخصية .
أندرو بننجتون	: الوصي الامريكي على تركة جد لينيت .
جيمس فانثورب	ابن شقيق محامي لينيت الانجليزي الشيخ بانكلترا، كلفه عمه بمراقبة لينيت في مصر .

كورنيليا : فتاة أمريكية راجحة العقل، مرافقة في السفر لخالتها.

العانس فان شويلر : خالة كورنيليا .. مليونيرة عجوز متعجرفة .

السيدة اوتر بورن : أرملة كثيرة الثرثرة ، دأبت على تأليف روايات حافلة بالمسائل الجنسية .

روزالي اوتر بورن : ابنتها الحسناء المتحفظة .

فرجيسون : شاب زري الهيئة متطرف يجاهر بآرائه .

لويز بورجيه : وصيفة لينيت الفرنسية .

الدكتور بسنر : طبيب نمسوي قارب الخمسين من عمره .

ريشتي : عالم في الآثار ، إيطالي الجنسية .

الفصل الاول

المليونيرة الحسناء

في قرية « مولتون أندر » . تلك القرية الجميلة من قرى الريف الانجليزي الساحر ، وقف صاحب حانة « التيجان الثلاثة » مع زبائن حانته يتهامسون في اهتمام بالغ ، وقد اتسعت حدقات عيونهم وانفرجت شفاههم في دهشة ، حينما رأوا سيارة الرولز رويس الحمراء تقف أمام مكتب البريد ، وتقفز منها فتاة عارية الرأس ترتدي ثوباً يبدو بسيطاً - نعم « يبدو » بسيطاً ، فهو ليس بسيطاً إلا في الظاهر فقط - وكانت الفتاة جميلة المنظر. جذابة الطلعة من طراز يندر مشاهدته في تلك القرية .

وقال صاحب التيجان الثلاثة لرفاقه ومواطنيه :

- إنها هي ! صاحبة الملايين العديدة ! لقد اشترت من السير جورج قصره وضيعته ، وستنفق في تجديده وإعداده آلافاً مؤلفة ، فعما قريب ستكون للقصر حمامات سباحة ، وحدائق إيطالية ، وقاعة رقص . انها ستهدم نصف القصر أيها الفتيان لتعيد بناءه من جديد .

- ولماذا باع السير جورج القصر ؟

- خيول السباق أيها الصديق !..

- وكم دفعت فيه ؟

- ستين ألفاً ذهباً فيما سمعت !..

فتعالى صفير السامعين ، فهو رقم خيالي في نظر اولئك الريفيين ، فقال محدثهم ليزيدهم ذهولاً :

- وستنفق أكثر من ستين ألفاً أخرى على التأثيث والاعداد ..

- إنه لظلم ولا شك ان هذه الفتاة تتمتع بكل شيء الثروة الواسعة ، والصحة ، والشباب . والجمال الرائع ..

- هذا شيء عظيم !

وأمسك صاحب الحانة باحدى الصحف ، وراح يقلب صفحاتها ، ثم قال :

- اليكم ما نشره محرر باب الاجتماعيات في صحيفتنا المسائية ، عن هذه الفتاة الحسناء :

« رأيت بين من تناولوا عشاءهم في مطعم « عند عمتي » الفاخر المليونيرة الشابة الحسناء « لينيت ريدجواي » وفي صحبتها صديقتها « جوانا ساوثوود » واللورد ويندلشام .. والمليونيرة - كما هو معروف - ابنة ملويش ريدجواي الذي تزوج من الأمريكية « أنا هارتس » . وقد أوصى جدهــا لأمها بملايينه الكثيرة لهذه الفتــاة الشابة ، واختار لها وصيــاً أمريكياً يدعى « أندرو بننجتون » يقوم بادارة ممتلكاتها حتى تتزوج أو تبلغ سن الحــادية والعشرين ، وهي اليوم موضع الاهتمام لجمالها وثرائها ، وتتناقل الأفواه اشاعة قرب اعلان خطبتها من اللورد ويندلشام المفتون بها » .

* * *

وخرجت الفتاة من مكتب البريد واستقلت سيارتها ، وتوجهت على الفور الى قصر وود الذي اشترته من السير جورج . وهناك كانت تنتظرها صديقتها جوانا ساوثوود ودار الحديث بين الصديقتين حول مشروعات تجديد القصر

التي كان معظمها قد تم فعلاً ، ولم تبق الا الدقائق النهـــائية . ولذلك لم تكتم جوانا اعجابها . فقالت :

– ما أبرعك يا لينيت ! لقد أتممت الكثير في أقصر وقت .

– لقد استخدمت ثلاثة من المهندسين المعماريين في وقت واحد

– انك يا عزيزتي فتاة أعمال من الطراز النادر .

وتناولت جوانا عقداً رائعاً من اللؤلؤ من فوق مائدة الزينة وقالت :

– أظنها لآلىء حقيقية يا لينيت ؟

– طبعاً .. أنا أكره التقليد في كل شيء .

– آه .. أظنه يساوي مبلغاً طائلاً ؟

– حوالي خمسين الفاً !

– يا لها من ثروة ! ألا تخافين أن يسرق ؟

– كلا !..

– لماذا ؟.

– لأنني أولاً ، ألبسه دائماً .. ولأنه ثانياً مؤمن عليه .

– دعيني ألبسه حتى وقت العشاء ، فانه يلذ لي كثيراً أن أشعر بهذه اللآلىء الثمينة النادرة فوق صدري .

فضحكت لينيت وقالت :

– لك هذا طبعاً ..

– أتعلمين يا لينيت انني أحسدك حقيقة ؟. انك تتمتعــين بكل شيء ، فأنت سيدة نفسك ، في العشرين من عمرك ، ربة ثروة هائلة وجمال فتان وصحة تامة ، ولك فوق هذا عقل راجح وذهن مرتب متى تبلغين الحادية والعشرين ؟

– في شهر يونيه المقبل .. واعتزم أن اقيم لهذه المناسبة حفــلة استقبال رائعة في لندن .

– وعندئذ ستتزوجين اللوردويندلشام ؟
فهزت كتفيها ثم قالت :
– لا أدري . فالواقع ان اختياري لم يستقر على شخص معين .

جاكلين دي بلفور

وفي هـــذه اللحظة رن جرس التليفون فرفعت لينيت السماع ، فاذا بكبير الخدم يعلن اليها ان جاكلين دي بلفور (على الخط) فأمرته بتوصيلها بها :

– لينيت ! أيتها العزيزة !

– أيتها العزيزة جاكلين .. لقد افتقدتك منذ أجيال !

– أعلم هذا .. ولذلك أريد أن أراك بأسرع وقت .

– ألا تستطيعين الحضور يا عزيزتي ؟ إنني هنـــا في قصري الريفي الجديد ويشوقني كثيراً أن تشاهديه .

– أتمنى هذا من كل قلبي .

– إذن اقفزي في أول قطار أو سيارة وتعالي حالاً ..

– وهو كذلك .. عندي سيارة ذات مقعدين من عهـــد نوح ، اشتريتها بخمسة عشر جنيهاً . وهي « صاحبة مزاج » . وعسى أن تهديها الله اليوم فأصل اليك يا عزيزتي قبل موعد الشاي .. الى اللقاء أيتها العزيزة .

وبعد أن وضعت لينيت السماع ، التفتت الى جوانا وقالت :

– هذه جاكلين دي بلفور ، وكانت زميلتي في مدرســة الدير بباريس .. وهي أقدم صديقاتي ، وكان والدها كونتاً فرنسياً ، أما أمها فهي مثل أمي أمريكية من أهل الجنوب . وقد هرب والدها مع امرأة أخرى ، ثم فقدت أمها ثروتها عن آخرها في مضاربات البورصة ، وبذلك أصبحت جاكلين

خالية الوفاض تمــاماً ، ولست أدري كيف تمكنت من الحياة في السنتــين الأخيرتين .

– هي اذن من النوع المزعج .

– ولماذا ؟

– أنا شخصياً أيتها العزيزة اذا حل بأي شخص من أصدقائي بلاء الافلاس قاطعته على الفور ! وهذا يبدو ضرباً من القسوة ، ولكنه يوفر متاعب كثيرة فيما بعد فهذا النوع يطلب دائماً قروضاً لا ترد، أو يفرض على المعارف والأصدقاء شراء أزياء وروائح من أردأ الأنواع بأسعار خرافية .

– اذن .. لو فقدت ثروتي اليوم ..

– أقاطعك منذ الغد! فأنا لا أحب يا عزيزتي الا الموفقين الناجحين والواقع أن معظم الناس مثلي ، ولكن أكثرهم لا يعترفون بذلك صراحة .

– ما أفظعك يا جوانا ! ولكنك على كل حال أخطأت الظن بجاكلين.. فقد عرضت عليها مراراً أن أساعدها. مادياً ولكنها كانت ترفض ، فان لها كبرياء مثل كبرياء الشيطان .

– فيم اذن لهفتها على رؤيتك ؟ أراهنك انها تريد منك شيئاً !..

– يبدو لي من لهجتها فعلاً انها متحمسة متلهفة على شيء .. ولكنني أعرف أن جاكلين تتحمس بسهولة . وقد رأيتها مرة وهي مدفوعــة بحماستها تغرس مدية في ذراع غلام .

– ما أروع هذا ! انها شخصية مثيرة خطرة !

– كان هذا الغلام يعاكس كلباً صغيراً ، ونهته جــاكلين ، فلم يرتدع .. فحاولت ارغامه بقوة يديها، ولكنه كان أقوى منها، فاستلت المدية وغرستها في ذراعه !..

وفي هذه اللحظة دخلت الخادمة الغرفة، فتناولت ثوباً وخرجت لتكويه، فلاحظت جوانا احمرار عينيها ، فسألت لينيت عن ذلك فقالت :

ـ يا لها من مسكينة ! لقد كانت راغبـــة في الزواج من شاب انجليزي موظف في مصر ، وكانت تجهل عنه كل شيء . فرأيت من المناسب أن استفسر عنه لكي اطمئن عليها وعلى مستقبلها ، فتبين لي أنه متزوج من مصرية وله ثلاثة أطفال ، فأخبرتها بذلك فقطعت عـــلاقتها به ، ولكنها تكثر من البكاء . معذورة !..

* * *

وفي ذلك الوقت كان اللورد ويندلشام جالساً في ظل شجرة من أشجار حديقة القصر ، وقد انصرف بصره الى الواجهة الرشيقة التي صار يتمتع بهـا « قصر وود » الريفي ، فاستراح الى ذلك المنظر الذي يشيع في النفس الغبطة والهدوء والأمن . وتذكر لهذه المناسبة قصراً ريفياً آخر ، هو قصر أسرتـه التاريخي المتوارث المعروف باسم قصر شارلتو نبيوري . وتخيل على عتبته فتاة رشيقة حسناء ذهبية الشعر هي لينيت فتنهد لهفة على أن يراها ، وقـد أصبحت سيدة ذلك القصر العتيد أيضاً .

انه ما زال يأمل أن تقبل الزواج منه مع انها كررت رفضها أكثر من مرة .. لأن ذلك الرفض لم يكن قاطعاً ، بل هو أشبـه ما يكون بالارجاء والتأجيل .

سيمون دويل

وفي نحو الساعة الرابعة وصلت السيارة الصغيرة ، وخرجت منهـا فتاة دقيقة التكوين سوداء الشعر لم تلبث أن وقعت على صدر لينيت وكانت هذه الفتاة هي جاكلين دي بلفور . وقدمتها لينيت الى اللورد ويندلشـــام ، الذي لم يلبث أن تركها معاً ، فراحت الصديقتـــان تتبادلان الذكريات

والأخبار ، الى أن قالت جاكلين انها مخطوبة لشاب وسيم فارع القوام يدعى سيمون دويل ، وانهما متحابان الى درجة الهوس ، ولكنه فقير وان كان ينحدر من أسرة عريقة ، وانه ضاق بالعمل في لندن لكراهيته حياة المدن ، ولهذا فهو يبحث عن وظيفة في الريف ناظراً لضيعة كبيرة أو ما أشبه ، وعقبت على ذلك بقولها :

– انني لا يمكن أن أتزوجه طبعاً ما لم يجد عملاً ، ولكنني أيضاً سأموت حتماً اذا لم أتزوجه

– تكوني حمقاء يا جاكلين !

– قلت لك سأموت حتماً ! أنا مجنونة به وهو مجنون بي ، ولا حيلة لنا في الحياة بغير زواج . ولهذا أريد منك ما دمت قد اشتريت هـذا البيت والضيعة أن تساعدينا ، فلا بد لك من ناظر زراعة ، فليتك تجعلين سيمون هذا الناظر .

واندفعت جاكلين تؤيد هذه الفكرة وتزكي خطيبها بحماسة ، الى أن قالت لينيت أخيراً :

– أحضريه لأراه وأتحدث معه في الموضوع .

فهجمت عليها جاكلين وراحت تقبلها بهوس ، ثم أسرعت منصرفة ، كي تبشره ، وأبت أن تنتظر حتى تتناول الشاي .

الخبير السري بوارو

نحن الآن في المطعم الفاخر المعروف باسم « عند عمتي » وصاحب المطعم لا يتحرك للاحتفاء بزبائنه البارزين الوجهاء ، إلا في حالات نادرة جداً . وهو في هذه الليلة قد تحرك لاستقبال رجل قصير القـــامة مكتنز الجسم مضحك الشكل له شاربان كثيفان ، وكان المطعم مكتظاً بحيث ظل السقاة في نصف الساعة الأخير يعتذرون للزبائن عن عدم وجود موائد خالية . ولكن سرعان

ما أحضروا لهذا الرجل القصير المضحك مائدة وضعوها في أنسب مكان، وتولى المسيو بلوندان صاحب المطعم إجلاسه اليها بنفسه وهو يبالغ في تحيته وإكرامه، ثم انتخب بنفسه أصناف الأنبذة والأطباق، وراح يجاذبه أطراف الحديث الى ان يحضرها الخدم :

– ألديك قضايا هامة في هذه الأيام يا مسيو بوارو ؟

– اني الآن وأسفاه في حالة تقاعد، بعد ان توافرت عندي الوسائل المادية للبطالة السعيدة .

– اني احسدك .

– انت مخطىء .. فقد بدأت اسأم الفراغ . فما اصدق الذي قال : ان الانسان اضطر لاختراع العمل كي يهرب من افكاره !

– ولماذا لا تتسلى بالأسفار ؟

– هذا ما عزمت عليه ، وقد أعددت العدة لزيارة مصر في هذا الشتاء ، فالطقس هناك رائع فيما يقولون . ويمكنني أن أسافر من لندن الى القاهرة بالقطار عبر اوربا وتركيا والشام ، كي أتجنب السفر بالبحر .

– ألا يناسبك سفر البحر ؟

فارتعدت فرائص هيركول بوارو – رجل البوليس السري المعروف – بعض الشيء لمجرد ذكر البحر . وفي هذه اللحظة بدأت الموسيقى تصدح ، وبدأ الخدم يتوافدون بالأطباق والنبيذ ، فجعل بوارو يستمتع بالطعام والشراب والموسيقى ، ولفت نظره من بين الراقصين شاب وفتاة في ميعة الشباب وبهاء الجمال . ثم انتهت الرقصة فجلسا بالقرب منه ، فشعر باشعاع من سعادتهما يغمره ويرده الى الشباب ، وكانت الفتاة شديدة الحماسة مبالغة في اهتمامها بصاحبها ، فراح بوارو يرقبها باهتمام أبوي ، وسمع اسم مصر يتردد على لسانهما ، فاذا بالشاب يقول :

– لا بد من تمضية شهر العسل يا عزيزتي جاكلين في مصر مهما يكلفنا الامر .

لقد كنت أحلم دائماً بمشاهدة الأهرام والنيل والصحراء المترامية .

– حقق الله الاحلام يا سيمون .

* * *

وفي الصباح التالي وصلت جاكلين الى قصر وود ومعها خطيبها سيمون دويل . فرأت فيه لينيت شاباً طويل القامة عريض الكتفين له عينان شديدتا الزرقة ، وشعر كستنائي متموج ، وذقن بارز ، وابتسامة صافية جذابة كابتسامات الأطفال .. فمدت له يدها ، فتناولها في قبضته القوية الدافئة ، وأعجبها منه تلك النظرة التي تفيض بالاعجاب الساذج ، فشعرت بما يشبه التخدير الخفيف يسري في عروقها ، وأعلنت على الفور انها اختارته للمنصب الذي طلبته له جاكلين .

وفي أعماق نفسها كانت تهتف بصراحة وجلاء :

– ما أحسن حظك يا جاكلين !

تيم الرتون ووالدته

وبعد بضعة أيام ، كان « تيم الرتون » منطرحاً فوق مقعد من مقاعد الشواطيء على ساحل جزيرة ملدوكا ، يتثاءب ويحملق في البحر ، ويلقي بنظرات جانبية نحو والدته « مسز الرتون » وهي سيدة بيضاء الشعر جميلة الصورة في الخمسين من عمرها ، وكانت تجتهد دائماً في إخفاء حنانها على ابنها الوحيد ، ولكن ذلك لم يكن يجدي ، لأن ذلك الحنان كان شديداً لا قبل لها باخفائه . ولعل السبب ان وحيدها كان مهدداً منذ سنوات بالاصابة بالسل ، فكانت تقضي وقتها في العناية به ، وقد أغنته بمالها القليل عن العمل .

وسألته أمه أخيراً عما يشغل ذهنه ، فقال :

– كنت أفكر في مصر . بلاد الدفء ، والرمال الجميلة في أحضان النيل الحالم . . فكم أتمنى ان أركب ظهر النيل هذا الشتاء .

– وأنا كذلك . . ولكن ذلك يتطلب نفقات طائلة لا يقدر عليها أمثالنا ممن يحرصون على ان يخفو رقة حالهم ويحفظوا على أنفسهم المظهر اللائق .

– سأتكفل انا بهذا . . فقد حدث اخيراً انتعاش في سوق الأسهم أفدت منه ، وقد بلغني هذا اليوم .

– اليوم ؟ . . لم يصلك الا خطاب واحد ، عرفت من خط المظروف انه مرسل من جوانا .

– هذا صحيح . . ولكني اعني ان خطاب السمسار وصلني امس مساء .

– ما اخبار جوانا ابنة خالتك وصديقتها لينيت ؟

– لقد رحل ويندلشام الى كندا كسير الفؤاد بعد ان خذلته لينيت ريدجواي ، وقررت ان تتزوج قريباً جداً من ناظر ضيعتها .

– عجباً . انه صعلوك ولا شك ؟

– كلا . . انه من آل دويل ، من اشراف مقاطعة ديفونشاير ، ولكنه معدم ، لأنه الابن الأصغر فلم يرث شيئاً ، وقد كان خاطباً « جاكلين دي بلفور » اصدق صديقات لينيت . . ويقال انها كانت متيمة في هواه .

– هذا فظيع ! وما هي اخبار جوانا الشخصية ؟

– تشكو الأزمة ، حتى انها تفكر في فتح محل للأزياء

– انها تزعم الافلاس ، وهي ترتدي دائماً افخم الملابس .

– وماذا في ذلك يا اماه ما دامت لا تدفع ثمنها ؟

– ماذا تعني ؟

– است اعني ما تقصدين . . وانما قصدت انها تماطل دائماً في تسديد الفواتير .

– دعنا من هذا الحديث . قل لي متى تسافر الى مصر ؟
– في شهر يناير . وهو أحسن الشهور في مصر ؟
– عظيم .. ولكن لا تنس انني وعدت السيدة ليدج ان تذهب معها إلى مركز البوليس ، فهي تجهل اللغة الاسبانية وعليك ان تترجم لها .
– من أجل خاتمها ؟. ذلك الخاتم ذي الياقوتة القرمزية ؟ لقد رأيتها تنزل الى البحر وهو في اصبعها ، ثم تخرج من غيره فلا شك انه وقع منها وهي تسبح :
– ولكنها تؤكد انها تركته على مائدة الزينة وعادت فلم تجده .
– انها واهمة او كاذبة .. لقد رأيتها بعيني رأسي

الوصي بننجتون

وبينما كان يدور هذا الحديث ، كان المستر اندرو بننجتون – الوصي الامريكي على تركة لينيت ريدجواي يفض البريد الوارد اليه في مكتبه بنيويورك . واذا بوجهه يكفهر ويدعو شريكه المستر روكفورد على عجل ، فيقول له بعد ان اختليا معاً :
– خبر صاعق ! لينيت تزوجت .
– كيف ؟ ومتى ؟. ولماذا لم تخبرنا ؟
– هذا الخطاب يقول انها ستتزوج في اليوم الرابع من هذا الشهر ، اي اليوم.
– ومن الرجل الذي ستتزوجه ؟
– اسمه سيمون دويل .
– وأي رجل هو في الرجال ؟
– انها لا تذكر عنه الكثير . وماذا نصنع الآن ؟
– ان الباخرة نورماندي ستبحر اليوم ، فيجب ان تسافر عليها لتحاول انقاذ ما يمكن انقاذه .

– ان ليثيت تقول انها راحلة لتمضية شهر العسل في مصر .

– إذن اذهب الى هناك وتصنع انك في رحلة للنزهة ، وانك التقيت بها هناك مصادفة . والباقي متروك لفطنتك .

وبعد تفكير قليل استقر الرأي على ذلك ، خصوصاً ان ليثيت تثق كثيراً بالعم اندرو بننجتون ، الأمر الذي يسهل عليه توقيع ما يلزم من الاوراق منها ، كي يسوي الحسابات المختلفة ، فقد كان زواجها يعني انتهاء وصايته على تركتها .

جيمس فانثورب

ومضت مدة ليست بالطويلة ، وصلت بعدها من ليثيت رسالة الى محام انجليزي شيخ كان يتولى بعض امورها في انجلترا ، فاستدعى المحامي ابن اخته الشاب الذي يتمرن في مكتبه ليطلعه على الخطاب الذي ذكرت فيه انها أمضت مع عريسها اسبوعاً في فندق مينا هاوس ، ثم قامت برحلة الى بركة قارون في الفيوم ، وانها ستركب الباخرة النيلية الكرنك بعد يومين لزيارة اسوان والاقصر ، ثم التوجه الى وادي حلفا ، ويستطرد الخطاب بعد ذلك قائلاً :

« ولما ذهبنا اليوم لحجز التذاكر في مكتب شركة كوك اذا بي افاجأ بالوصي الامريكي على ثروة جدي ، وهو المستر اندرو بننجتون ، ولم أكن أعرف انه في مصر كما كان يجهل هو وجودي بها ، وانني تزوجت ، فقد وصل خطابي بعد قيامه من نيويورك بيوم واحد . وهو ذاهب على نفس الباخرة النيلية في تلك الرحلة البديعة . فانظر الى أعاجيب المصادفات »

وقد أظهر المحامي الانجليزي الشيخ ريبته في ان تكون المسألة مصادفة ، وخشي ان يكون هناك تلاعب من جانب الوصي الامريكي ، فأمر ابن شقيقه الشاب جيمس فانثورب بالسفر في ذلك اليوم نفسه الى القاهرة بالطيارة ،

وركوب الباخرة النيلية كي يرقب الحالة عن كثب ، دون ان يظهر شخصيته للآنسة لينيت ريدجواي التي صارت السيدة لينيت دويل . وأوصاه ان يستعمل ذكاءه وان يكون على حذر ، وألا يدخر وسعاً في احبـاط أي مؤامرة او مكيدة

روزالي ووالدتها

وفي مدينة القدس - في أحد أبهاء فنـدق الملك داود كانت السيدة أوتر بورن - إحدى الروائيات - تثبت على رأسها عمامة ضخمة ، وتقول لابنتها الجميلة روزالي :

- لماذا لا نذهب الى مصر ، فقد سئمت القدس !

- كما تشائين يا اماه . .

- لقد عاملني اصحاب الفندق معاملة غير لائقة ، معاملة شائنـة . ففي وجود مؤلفة مثلي بالفندق دعاية له ولا شك . فلما طلبت منهم تلميحاً ان يراعوا ذلك فيمنحوني تخفيضاً خاصاً ، رفضوا بكل قحة

- لا عليك يا أماه .

- لقد أخذت بثأري ، فصارحتهم برأيي فيهم ، وهذا الصباح جاءني المدير وقال لي بكل صفاقة ان جميع الحجرات محجوزة مقدماً ، وانه يرجوني اخلاء حجرتنا في خلال يومين .

- إذن يجب ان نرحل الى مكان آخر

- كلا . فانني مستعدة للدفاع عن حقوقي

- ولماذا نضايق انفسنا بالبقاء ؟ لماذا لا نذهب الى مصر كما تريدين ؟

- لا مانع . وان كنت لست متلهفة على ذلك ، فليست هذه الرحلة الى مصر أمراً ضرورياً تتوقف عليه الحياة .

فان شويلر وكورنيليا

واتفق أيضاً في هذا الوقت ان سيدة امريكيـة تدعى روبنسون كانت تشكر اختها العجوز العانس فان شويلر ، لأنها قررت اصطحاب ابنتها الشابة اللطيفة كورنيليا في رحلتها الى مصر .

وحينها خرجت السيدة روبنسون من الحجرة التقت بالآنسة بويرز الممرضـة الملازمة للعانس ، فدار بينهما الحوار التالي :

– انك ستلازمين طبعاً سيدتك في مصر .

– لا شك يا سيدتي .. كما لازمتها في العام الماضي في باريس .

فرمقتها السيدة روبيسون بنظرة ذات معنى وقالت :

– أرجو ألا تحدث متاعب .

– أرجو هذا .. فسأكون متنبهة دائماً وعلى حذر ، ولن يقع شيء مكدر .

الفصل الثاني

مفاجأة

كانت « مسز الرتون » جالسة مع ابنها تيم في بعض تلك المقاعـد القرمزية المصنوعة من القش في حديقة فندق كتراكت بمدينة أسوان . وكانا يراقبـان شخصين ، أحدهما رجل قصير القامة يرتدي بذلة من الحرير الأبيض ، والاخر فتاة طويلة القامة نحيفة . وقالت السيدة الرتون لابنها :

– هذا الرجل هو هيركول بوارو المخبر السري المشهور .

فاعتدل تيم في جلسته منتبهاً ، وقال بدهشة عظيمة :

– اهو هذا الرجل القصير المضحك ؟

– هو بعينه .

– وماذا يصنع هنا ؟

– ولكن لماذا تنزعج هكذا ؟ لست أظنه على كل حال هنـا لغير النزهة ، فقد جمع من مهنته ثروة كبيرة .

– وأراه لا يبخل على نفسه بصحبة أجمل فتاة في الفندق .

والواقع ان الفتـاة كانت أطول من بوارو بثلاث بوصات ، وكانت مشيتهـا رشيقة وملامحها جميلة . ولكن تبدو عليها آيات الضيق والتجهم ، وكانت هذه الفتاة هي روزالي اوتربورن . وكانت تتحدث الى بوارو عن تلك الرحلة النبيلة

الى وادي حلفا ، وهما في طريقهما للتجول في شوارع المدينة وتفقد محال الاثار وفي طريق عودتهما وجدا زحاماً على الشاطىء ، بسبب وصول باخرة نيلية تقل الركاب من القاهرة ، فوقف بوارو ورزالي يشاهدان النزلاء الجدد الذين سيحلون معهما في الفندق . فانتهز تيم الرتون الفرصة وانضم اليهما ليتمتع بقرب الفتاة التي أعجب بها منذ رآها ، وإذا به يصيح بعد قليل :

– على اللعنة إذا لم تكن هذه لينيت ريدجواي !

ولئن كان بوارو لم يكترث لهذه العبارة ، إلا ان روزالي تحركت لها وتخلت عن وجومها المألوف لتتأمل المليونيرة التي شغلت الاوساط الراقية في بريطانيا تلك السنة ، في حين استطرد تيم الرتون .

أنها هذه المتشحة بالبياض وهذا الرجل المديد القامة الذي بجوارها هو زوجها الجديد سيمون دويل .

– لقد كانت صورتها في جميع الصحف . انها أغنى امرأة في انجلترا

– وهي الى هذا . حسناء .

– نعم . السماء تحابي بعض الناس فتمنحهم كل شيء .

* * *

وكانت لينيت تعلم أن جميع الأنظار موجهـــة اليها ، فكانت تهبط سلم الباخرة في رشاقة وثقة بالنفس ، أشبه بثقــة الممثلة القديرة وهي تخطر على المسرح عند ارتفاع الستار ، في غير مبالاة بتلك الأنظار ، لأنها أصبحت شيئاً مألوفاً في حياتها ، وكان زوجها يتحدث اليها بصوت خفيض يفيض رقــة ، وعينـــاه تنطقان بالرعاية والهيام . فلما مرا بجوار بوارو ورفيقيه طرقت مسمعه نبرات صوت سيمون ، فقطب حاجبيه وحدق في الشاب النظر . أما تيم الرتون فقال :

– يا له من حظ عظيم ! لقد ظفر بالمال والجمال .

فقالت روزالي بلهجة لا تخلو من حسد :

– انهما يبدوان في غاية السعادة .. والله ان هذا الكثير !

ولكنها قالت العبارة الاخيرة بصوت خافت حتى لا يسمعها تيم . لكن بوارو سمعها ، فقال لها بعد ان غادرها تيم ليلحق بوالدته :

– من يدريك أنهما سعيدان ؟ لماذا لا تكون ضحية ثرائها ؟

– ألم تر كيف يهيم بها ؟

– رأيت . ولكنني رأيت شيئاً آخر أيضاً . رأيت خطوطاً سوداء تحت عيني العروس . ورأيت يدها تقبض على مظلتها بقوة عصبية حتى لقد ابيضت مفاصل اصابعها . ان لها سراً ! ثم انني أعرف شيئاً آخر : أعرف ذلك الصوت ، لأنني سمعته من قبل ، أعني صوت السيد سيمون دويل ، وان كنت لا أذكر أين سمعته على وجه التحديد .

– ربما ، ربما ، ولكنني مع هذا أشعر نحوها بكراهية شديدة ، فهي ظاهرة الثقة بنفسها كأنها ملكة تستطيع أن تحصل على كل شيء تشتهيه . في حين أنني . . عفوك ! أظن انه ينبغي أن ألحق الآن بوالدتي فأنها متوعكة .

وكانا قد وصلا الى البهو المعتم ، فتركته مسرعة ، وقد خجلت مما بدر منها من عواطف الغيرة والحسد .. فاتجه المسيو بوارو الى شرفة الفندق المطلة على النيل ، حيث كانت قد بسطت موائد الشاي. ولكن الوقت لم يكن قد حان ، فوقف يتأمل النهر المتدفق لحظة ، ثم اتجه إلى الحديقة ، فوجد فريقاً من النزلاء يلعبون التنس في الشمس الحامية ، فوقف يرقبهم قليلاً ثم شرع يمشي في الممرات بين الأشجار .

وهناك ، على مقعد من تلك المقاعد الخشبية المواجهة للنيل وجد الفتاة التي رآها تلك الليلة وهو يتعشى في مطعم « عند عمتي » ، فعرفها على الفور ولكن تعبير وجهها هذه المرة كان يختلف كل الاختلاف عن تعبيره ليلة المطعم . فهي

اليوم شاحبة ، وهي ليلئنذ كانت تمثالاً حياً للبهجة والحيوية .

وتراجع بوارو قليلاً . ولم تكن الفتاة قد رأته ، فراح يراقبها عن كثب على غرة منها ، فرآها تدق الأرض بقدمها الصغيرة في صبر نافد . ورأى في الشرر الذي يندلع من عينيها ما يدل على العذاب والاصرار .

واكتملت الصورة في ذهنه ! فان وجهها قد ذكره بصوت الشاب لقد كان سيمون دويل زوج المليونيرة الحسناء لينيت هو ذلك الشاب الذي كان يصحبه هذه الفتاة الوحيدة المعذبة جاكلين ليلة المطعم ، حيث لفت نظره تدلهها في حبه .

وفي هذه اللحظة ترامت إلى سمعه أصوات تقترب . فاذا الفتاة الجالسة فوق المقعد تنهض واقفة على قدميها ، ثم إذا لينيت دويل وزوجها ينحدران إلى ذلك الموضع من الممشى . وكان صوت لينيت ينبيء عن السعادة والثقة . فلما اقتربت ، رأى بوارو ان ذلك التوتر قد فارق عضلات وجهها ، وان السعادة كانت تفيض من كل جارحة فيها .

وتقدمت الفتاة التي كانت جالسة نحوهما خطوتين ، فاذا العروسان يجمدان في مكانهما مأخوذين .

وهتفت جاكلين دي بلفور :

— أهذه أنت يا لينيت؟ يخيل إلي اننا لن ننتهي من ذلك الالتقاء على غير اتفاق وعلى غير ميعاد .

وبإيماءة من رأسها ودعتها وابتعدت بين ظلال الأشجار ، فاتجه بوارو بخفة إلى الناحية المقابلة ، ولكن بعد ان سمع لينيت تقول :

— بربك يا سيمون ماذا نصنع .

بعد العشاء

انتهى العشاء وكانت شرفة فندق كتراكت تسبح في ضوء ضعيف لطيف هادىء ، وقد جلس معظم النزلاء على الموائد الصغيرة يستمتعون بأنسام المساء الدافىء . وأقبلت في تلك اللحظة لينيت دريل وزوجها ، ومعهما رجل طويل القامـــة وجيه المنظر أبيض الشعر حليق الذقن ينطق كل شيء فيه بالنمط الامريكي لرجال الأعمال . ووقف الثلاثة بباب الشرفة مترددين ، فخف اليهم تيم الرتون وقال للينيت ببشاشه :

– لعلك لا تذكرينني . أنا ابن خالة جوانا ساوثوود .

– نعم نعم .. ما أغباني ! أنت تيم الرتون .. هذا زوجي وهذا الوصي الامريكي على املاكي المستر بننجتون .

– تشرفنا .. وأعتقد انك يجب أن تتعرفي بوالدتي .

وبعد دقائق كان الجميع يجلسون الى مائدة واحدة مع السيدة الرتون .

وتحرك الباب المزدوج ، فالتفتت لينيت نحوه باهتمام ، وإذا برجل قصير القامة يدخل منه ، ويخترق الشرفة ، فابتسمت السيدة الرتون وقالت :

– انك لست الشخصية الوحيدة المشهورة هنا يا عزيزتي ، فهذا الرجل القصير المضحك هو هيركول بوارو .

وكانت السيدة الرتون تقول لها هذا الكلام على سبيل « الدردشة » التي تتصيد السيدات مناسباتها من هنا وهناك لقطع الوقت، ولكن يبدو ان لينيت فوجئت بهذا النبأ واهتمت له اهتماماً خاصاً :

– هيركول بوارو ؟ لقد سمعت به طبعاً .

وشرد بصرها بعد ذلك حتى لقد وجد تيم رببننجتون صعوبة في مجاذبتها أطراف الحديث برهة غير قصيرة .

وكان بوارو قد اخترق الشرفة حتى وصل الى الحاجز ، وإذا بصوت نسائي يسترعي انتباهه قائلاً :

– اجلس يا مسيو بوارو ، انه لمساء جميل .

فصدع بالأمر قائلاً بالفرنسية التي كان يمزجها بالإنجليزية :

– أجل يا سيدتي ، انها ليلة جميلة حقاً ..

وابتسم تأدباً للسيدة اوتربورون مؤلفة الروايات التي كانت ترتدي تلك العمامة السخيفة الملفتة للنظر فوق ثوب أسود أسخف منها أيضاً . فاستطردت

– أرى المكان قد أصبح حافلاً بالشخصيات البارزة ، وأتوقع أن نرى نبذة عن ذلك في الصحف عما قريب ، فهناك حسان المجتمع ، والمؤلفون المشهورون ، والمؤلفات أيضاً ..

وتوقفت لحظة لتطلق ضحكة تواضع مصطنع ، فشعر بوارو أن ابنتها التي كانت تجلس في مواجهته قطبت جبينها استنكاراً ، ولكنه تعمد الا يرفع عينيه اليها حتى لا يحرجها ويزيدها خجلاً ، وقال للأم :

– هل تنتظرين رواية عما قريب يا سيدتي ؟

وكأنه كان يسأل هل تنتظر مولوداً جديداً ، ولكن المؤلفة لم تتنبه الى ذلك التهكم الخفي وانطلقت تقول :

– الواقع انني اصبحت أستمتع بالكسل في المدة الأخيرة ، مع انني يجب أن اسرع وأجد في العمل ، فجمهوري قد نفد صبره ، وناشري المسكين يستعجلني في كل بريد ، وبالبرقيات أحياناً .

وشعر بوارو أن الفتاة قد تجهمت مرة اخرى ، أما الأم فمضت تقول :

– لست أكتمك يا مسيو بوارو اني هنا في الوقت الحاضر كي استوحي معاني جديدة ستظهر في روايتي الجديدة ان عنوانها « ثلج على وجه الصحراء » . وهو عنوان قوي يا مسيو بوارو ، ومثير .. ثلج يا مسيو بوارو ، على وجه الصحراء يا مسيو بوارو .. يذوب عندما تهب عليه أول نسمة لافحة من نسمات العاطفة المتأججة !

وعندئذ نهضت روزالي وغمغمت كلمات غير مفهومة على سبيل الاعتذار ،

ثم انطلقت حتى اختفت في الحديقة المظلمة ، أما الأم فراحت تسوي طيات العمامة المتكررة بيديها ، وهي تقول :

– القوة لا بد منها .. لحم قوي ، هـذه هي كتبي أجساد قوية تفيض بالقوة والحيوية . صحيح ان المكتبات العامة والمدرسية تقاطعها لأنهـا روايات حافلة بالمسائل الجنسية ، ولكن لا بأس ! انني أقول الحق . الجنس يا مسيـو بوارو هو عمود الحياة ، فلماذا يتنكر له الناس ويخشون مواجهته ؟ هل قرأت كتبي يا مسيو بوارو ؟

– واأسفاه يا سيدتي ! ان عملي كما تعلمين لا يدع لي وقتاً

– لا بد إذن أن أعطيك نسخـة من روايتي « تحت شجرة التين » واني واثقة كل الثقة انك ستجدها ذات مغزى عظيم .. انها واقعية .

– هذا تلطف عظيم منك يا سيدتي .. وسأقرؤها بكل لذة !

– أظن انه يجب ان اذهب الآن وأحضر لك النسخة

– لا تجشمي نفسك هذا العناء .. فيما بعد .

لا عناء على الأطلاق . اني متلهفة أن أريك ..

– الى أين يا أماه ؟

وكانت روزلي قد عادت في هذه اللحظة ، فوجدت أمها تهم بالنهوض .

– لا شيء يا عزيزتي . كنت ذاهبة لاحضار نسخة للمسيو بوارو .

– من شجرة التين ؟ سأحضرها أنا .

– انك لا تعرفين مكانها يا عزيزتي .. سأذهب أنا .

– بل أعرف !

وبسرعة فائقة انطلقت الفتاة الى داخل الفندق .

وأشار بوارو الى أحد السقاة ، ثم سأل مسز اوثربون :

– ألك في كأس من الشراب يا سيدتي ؟

فهزت رأسها بحدة وقالت :

– كلا كلا . اني من انصار تحريم الخمور ، ولعلك لاحظت اني لا أتناول شيئاً على المائدة سوى الماء او عصير الليمون ، فاني لا أطيق رائحة الخمرة ، فلا بأس من كأس من عصير الليمون .

أما بوارو فطلب لنفسه كأساً من النبيذ ، وأقبلت عندئذ روزالي وفي يدها الكتاب ، فكتبت عليه السيدة اوثربورن اهداء ، ثم أعطته اياه ، فاذا على الغلاف الملون صورة سيدة معقوصة الشعر على آخر طراز ، قرمزية الاظافر ، جالسة على جلد نمر ، وليس عليها من الثياب إلا ورقة التوت ! ومن فوقها شجرة لها اوراق البلوط وثمار التفاح ، ومكتوب بخط كبير « تحت شجرة التين » ! وتحت صورة المرأة مكتوب بخط واضح « بقلم سالومي او شربورن » فانحنى بوارو وقال :

– انه لشرف عظيم لي يا سيدتي !

وفيما هو يرفع رأسه على اثر الانحناء ، التقت عيناه بعيني ابنتها .. فقرأ فيهما الكثير من الألم الحبيس المتأجج ، وأحضر الساقي الشراب ، وساد الصمت بين الثلاثة لحظة طويلة ، وهم يحدقون في الصخور السوداء البارزة في مجرى النيل .

* * *

وفجأة تحرك الباب الكبير ، فاتجهت اليه الانظار وإذا بفتاة سمراء في ثوب سهرة بلون النبيذ تظهر منه ، وقد وقفت تتأمل الناس برهة .. ثم مشت بأناة الى مائدة خالية ، فقالت مسز اوثربورن بحنق :

– يبدو أن هذه الفتاة تظن نفسها شيئاً ذا بال !

ولم يجب بوارو ، لأنه كان مشغولاً بمراقبة الفتاة التي كانت تحملق باصرار في

لينيت دويل ، وإذا بها تقوم فتجلس في الناحية الأخرى من المائدة ، فغيرت الفتاة مقعدها كذلك كي تظل في مواجهة لينيت . وهز بوارو رأسه مراراً .

وبعد ربع ساعة نهضت لينيت دويل فجأة ودخلت الفنـــدق ، فتبعها زوجها على الفور .

أما جاكلين دي بلفور فابتسمت وأدارت مقعدها لتستقبل صفحة النيل ، ثم أشعلت سيجــارة وأستغرقت في تأمل ميــاه النهر الصغير وهي تتدفق في بهجة ولطف .

مع الخبير السري

انصرف الجميع تلك الليلة الى مخدعهم ، أما بوارو فبقي وحده في الشرفة يستمتع بجمال الليل .. وفيما هو منصرف بخواطره وأحلامه الى الصخور الناعمة التي تبرز من مجرى النهر ، طرق سمعه صوت يقول :

– مسيو بوارو .

فانتبه وقفز واقفاً على قدميه .. وكان الصوت الذي ناداه يدل على تربيــة حسنة وثقة بالنفس وشيء من الكبرياء ، مع نعومة فيــه وعذوبة :. والتقت عيناه بعيني لينيت دويل ، وكانت ترتدي شالاً من القطيفة الثمينــة الحمراء فوق ثوبها الحريري الناصع البياض ، فبدت له عن قرب أجمل مما تصورها من قبل . وقالت :

أأنت المسيو هيركول بوارو ؟

– في خدمتك يا سيدتي ..

– لعلك تعرف من أنا ؟.

– نعم يا سيدتي .. قد سمعت اسمك وأعرف من أنت .

– ألك يا مسيو بوارو في التوجه معي الى قاعة اللعب ، فأنني شديدة اللهفة على أن أتحدث اليك .

– في خدمتك يا سيدتي ..

فاقتادته الى حجرة خالية من حجرات اللعب ، وحرصت على اغلاق الباب عليهما ، ثم جلسا إلى إحدى الموائد الصغيرة ، وطرقت الموضوع في غير لف وبغير مقدمات :

– لقد سمعت عنك الكثير يا مسيو بوارو ، وأعلم أنك رجل عظيم البراعة فائق القدرة ، واتفق في الوقت الحاضر أن أكون بحاجة ماسة إلى شخص يسدي إلي يد العون ، وأعتقد انك بلا ريب ذلك الشخص

– هذه رقة بالغة منك يا سيدتي .. ولكنك ترين انني في اجازة ، وحينما أكون في اجازة لا أرتبط بعمل مطلقاً .

– هذه مسألة يمكن تدبيرها .. فالواقع يا مسيو بوارو انني فريسة مطاردة لا تفتر ، ولا بد من وضع حد لها بأي ثمن ! وقد كان من رأيي أن ألجأ الى البوليس ، ولكن زوجي يعتقد أن البوليس لا سلطان له في هذا الموضوع .

– ربما كان على صواب .

– سأشرح لك الموضوع باجمال حتى تحكم بنفسك ، فقد كان زوجي قبل أن ألتقي به خاطباً للآنسة جاكلين دي بلفور ، من أقدم صديقاتي ، ثم فسخ خطبته لها ، فانهما لم يكونا متلائمين ، وقد حز هذا في نفسها للأسف الشديد . واني آسفة لما حدث لها كثيراً ، ولكن هذه أمور لا يد للانسان فيها . وقد عمدت الى التهديد ، ولكني لم أكترث لتهديداتها . والحقيقة انها تحاول وضع تلك التهديدات موضع التنفيذ ، بيد انها اتخذت خطة غريبة جداً ، هي ملاحقتنا أنا وزوجي أينما ذهبنا أو أقمنا !..

فرفع بوارو حاجبيه دهشة وقال

– الواقع انه انتقام من نوع غير مألوف !

– غير مألوف ، وسخيف ! ولكنه أيضاً مزعج .

– لقد قدرت ذلك .. فأنتما فيما أعتقد في شهر العسل ؟

– نعم .. وقد حدثت المطاردة الأولى ونحن في البندقية ، فالتقينا هناك في مطعم دانيلي . وأعتقدت ان المسألة محض مصادفة ، وان كانت مصادفة محرجة . ثم اذا بنا نجدها معنا على ظهر السفينة عند ابحارنا من ميناء برنديزي. وقد اعتقدنا انها ذاهبة الى فلسطين ، فنزلنا في الاسكندرية على اعتقاد اننا تركناها في السفينة ، واذا بنا حين وصلنا الى فندق مينا هاوس بالجيزة نجدها جالسة على الشرفة في انتظارنا وقد حضرنا الى هنا بالباخرة النيلية . والواقع انني كنت أتوقع ان أكتشف وجودها على تلك الباخرة ، فلما لم أجدها ظننت انها قد أقلعت عن هذه الصبيانيات ، ولكن ما ان وصلنا حتى وجدناها تكن في هذا الفندق في انتظار وصولنا اليه !

– وأنت تخشين أن تستمر هذه الخطة ؟

– نعم . والمسألة كلها فارغة من المعنى ، فان جاكلين تزري بنفسها ، ويدهشني أن يعوزها الاحترام والشعور بالكرامة الى هذا الحد

– هناك أوقات يا سيدتي تتوارى فيها مشاعر الاحترام وال لتخلي السبيل لعواطف أقوى وأشد .

– ربما .. ولكن بحق السماء ، ماذا تؤمل هل أن تكسب من وراء هذا كله ؟

– ليست المسألة في جميع الأحوال مسألة مكسب وخسارة يا سيدتي .

– الحق معك ! ومناقشة الدوافع خارجة عن نطاق بحثنا الآن ، فالمقصود هو : كيف نضع حداً لهذا الموقف ؟

وكيف تظنين ان ذلك مستطاع ؟

– لا ريب اني لا أطيق أنا وزوجي أن نظل فريستين لهذه المضايقة المستمرة . فلا بد أن هناك نوعاً من الاجراء المشروع ضد ذلك المسلك .

– هل هددتك بكلمات صريحة علنا ؟ هل سبتك ؟ هل حاولت الاعتداء عليك اعتداء جسمانياً ؟

كلا .

– إذن لا أرى لك مخرجاً يا سيدتي ، فاذا كان يلذ لسيدة شابة أن تسافر بوسائل معينة وتقيم في أمكنة معينة ، وهي الوسائل والأمكنة التي يروق لك ولزوجك اختيارها ، فلا جناح عليها ، فالهواء مشاع لجميع النـــاس وهي لا تتطفل على خلوتك ، وإنما كل التقائها بك في الأماكن العامة .

– أتعني انه لا فائدة من محاولة منعها من مطاردتنا ؟

– لا فائدة على الاطلاق فيما أرى ، فالآنسة جاكلين دي بلفور تسلك في حدود حقها المشروع .

– ولكن هذا شيء لا يطاق !

– في استطاعتك ان تغادري المكان الذي لا تستريحين فيه

– ولكنها ستتبعنا الى المكان الجديد !

– من المحتمل جداً ، فليس هناك ما يمنعها من ذلك .

– ولكن لماذا نهرب نحن منها ؟!

– هذا بالضبط يا سيدتي هو جوهر الموضوع. لماذا تهربين ؟ وماذا يضايقك من وجودها ؟

– لماذا ؟!. لقد أخبرتك بالقصة !

فتراجع بوارو في مقعده وعقد ذراعيه فوق صدره ، وقال بهدوء :

– أعيريني سمعك يا سيدتي ، فسأقص عليك قصة صغيرة . فمنـــذ شهر أو شهرين كنت أتعشى ذات يوم في مطعم بمدينة لندن ، وكان الى المائدة المجاورة رجل وفتاة ، وكانا سعيدين جداً ومتحابين ، وكانا يتحدثان بثقـــة تامة عن المستقبل ، ولم أر وجه الرجل لأن ظهره كان الى جهتي ولكنني كنت أرى وجه الفتاة ، وكان وجهاً ناطقاً بأنها عاشقة بكل قلبها وروحها وجسدها ، فلم تكن الفتاة من اللواتي يحببن حباً سطحياً يسيراً يبدلنـــه كلما غسلن وجوههن حين يستيقظن من النوم ، بل كان واضحاً لعيني أن الحب عندها هو الحيـــاة

أو هو الموت ، وكانا مخطوبين، وكان حديثهما عن شهر العسل ، وكيف يقضيانه في ربوع مصر .

وانقضى الشهران لم أر فيهما وجه الفتاة ، ولكنني لن أنسى ما حييت هذا الوجه، ولا يمكن إلا أن أتذكره إن رأيته يوماً ما، وأتذكر أيضاً صوت الرجل. فأين تظنين انني رأيت وجه الفتاة وسمعت صوت الرجل بعد ذلك؟ هنا يا سيدتي في مصر ! وكان الرجل في شهر العسل ، أجل ! ولكنه عسل يشترك فيه مع امرأة أخرى ..

– وماذا في ذلك ؟ لقد ذكرت لك هذه الوقائع بنفسي

– الوقائع... نعم !

– وبعد !

– كانت الفتاة ليلة المطعم قد أشارت الى صديقة لها ، وكانت تؤكد لخطيبها ان صديقتها تلك لن تخذلها . وكانت هذه الصديقة فيما أظن يا سيدتي هي أنت !

– نعم .. فقد ذكرت لك بنفسي اننا كنا صديقتين .

– وكانت لها فيك ثقة ؟

– نعم ..

وظهر على لينيت التردد لأول مرة منذ بدء الحديث ، ثم قالت :

– لقد حالفها وحالف الموضوع كله سوء الطالع ، ولكن هذه الأمور تقع كثيراً في الحياة يا مسيو بوارو .

– انها تقع يا سيدتي .. فلا بد قد سمعت وأنت في دور العبادة فصولاً من التوراة يتلوها القسيس او الشماس . وربما سمعت من بين تلك الفصول قصة داود الملك ، والإشارة الى الرجل الغني صاحب القطعان التي لا يحصيها العدد ، والرجل الفقير الذي لم يكن يملك الا نعجة واحدة ، وكيف أن الغني اشتهى لنفسه نعجة الفقير ، ومد يده اليها . هذه أشياء تقع حقيقة يا سيدتي !

فاعتدلت لينيت في جلستها ، واتقدت عيناها وهي تقول :

- انك تعتقد انني سرقت خطيب صديقتي ، وتنظر الى المسألة من وجهة نظر عاطفية ، شأن أبناء زمنك . ولكن الحقيقة المجردة خلاف ذلك على خط مستقيم. فلست أنكر ان جاكلين كانت متيمة بحب سيمون، ولكن لا أظنك قدرت انه لم يكن متعلقاً بها تعلقها به . فلما التقى بي سيمون ، أدرك انـــه يحبني انا لا جاكلين . فماذا يصنع ؟ هل كان يصطنع البطولة ويتزوج امرأة لا يحبها فيحطم ثلاثة قلوب ؟ ولو انه كان متزوجاً بها فعلاً حين التقى بي ، لكنت وافقتك على ان واجبه ان يتمسك بها ، وان كانت المسألة مع ذلك فيها نظر ، فان شقاء احد الزوجين يشقي الزوج الآخر . فما بالك والخطبـــة ليست كالزواج ؟ وليس للخطبـــة معنى الا انها فرصـــة يراجع فيها الطرفان نفسيهما ، حتى اذا تبين لهما خطؤهما أصلحاه قبل ان يفوت الأوان ، فيندما حيث لا ينفع الندم . وأعترف ان زواجنا وقع على جاكلين وقعاً أليماً ، واني آسفة كل الأسف . ولكن لا حيلة لي، فقد كان الذي حدث أمراً مقضياً لا مناص منه .

- عجباً أيما عجب ! ان ما تقولينه معقول ومنطقي جداً ، ولكنه لا يفسر لي مسلكك انت يا سيدتي فان مطاردتها قد تضايقك، أو تثير في نفسك الرثاء لهذه المسكينة التي أفقدتها الضربة اتزانها. ولكنك لم تشعريَ بالحرج ولا بالرثاء، بل ثرت وشعرت ان الموقف لا يطاق. فلماذا؟. ليس لذلك الا تعليل واحد، هو الشعور بأنك مذنبة حقاً !.

- كيف تجسر على ذلك ؟!

- بل أجسر يا سيدتي ثم أجسر ، وسأتحدث اليك في صراحة تامة . ان الحقيقة التي تعلمينها ولا يمكن ان تخدعي نفســـك عنها ، هي انك اختلست خطيب صديقتك اختلاساً مدبراً متعمداً ، وأعتقد انك شعرت نحوه بانجذاب قوي اول وهلة . وانك ترددت ، ثم اخترت طريقك بمحض ارادتك ، وكان

الاختيار بيدك اكثر مما كان بيد المسيو دويل .. فأنت جميلة يا سيدتي وغنية وذكية وقد استخدمت سحرك حيث كان في استطاعتك ان لا تستخدميه فعمدت الى أسره بفتنتك عمداً ومع سبق الاصرار وكانت الدنيا أمامك واسعة تملكين الاختيار من بين مئات الشبان. أما صديقتك فلم يكن لها الا ذلك الرجل وكنت تعلمين هذا . وكان في استطاعتك ان تقبضي يدك ، ولكنك مددتها ، كما مد الرجل "الغني يده الى نعجة جاره الفقير !

وساد الصمت لحظة ، ووجدت لينيت صعوبة في التغلب على انفعالها ، الى ان قالت بصوت فاتر :

– كل هذا خارج عن الموضوع .

– كلا ، بل هذا هو لباب الموضوع ، فهو تفسير انزعاجك الشديد كلما فوجئت برؤية الآنسة دي بلفور فأنت مقتنعة في أعماق سريرتك انها على حق. ولا تؤاخذيني على هذه الصراحة ، فان علم النفس لا يأبه كثيراً الا للوقائع المجردة.

– وبفرض ان ما تقوله صحيح – وان كنت لا أعترف بذلك – فما العمل يا مسيو بوارو ؟

– ان عقلك المرتب يفتيك بأن ما فات مات ، وان ما كتب قد كتب ، فلا بد من الاعتراف بالأمر الواقع . ولكن لا حيلة لك في تغيير الوضع ، إلا التجلد والصبر !

– ألا تتكرم بالتحدث الى جاكلين ، لعلك تقنعها بالاقلاع عن هذه الخطة؟

– ربما فعلت ذلك .. ولكن لا تنتظري له ثمرة ترضيك ، فان جاكلين فريسة فيما أعتقد لفكرة ، لن تتحول عنها .

– أتعتقد اذن انه لا فائدة ؟

– في استطاعتك ان تعودي مع زوجك الى انجلترا فتقيما في قصركما الريفي ، قصر وود .

– أظنها تتبعنا الى هناك وتقيم في القرية ، بحيث أراها كلما خرجت من

أسوار الحديقة . ثم انني لا أظن سيمون يوافق على الهروب والتراجع .

– وما هو موقفه ؟

– انه غاضب الى حد الثورة .

فهز بوارو رأسه شأن من يفكر ، وقالت لينيت برجاء :

– هل ستخاطبها في الأمر ؟

– نعم سأخاطبها ، وان كنت ضعيف الأمل في النجاح،وهل لي ان أعرف شيئاً عن التهديدات التي هددتك بها ؟

– لقد هددت بقتلنا نحن الاثنين ، انا وسيمون .

فظهر الاهتمام على وجه بوارو وهز رأسه ملياً ، فقالت له لينيت بلهجة لا تخلو من الضراعة :

– هل تعمل لحسابي يا مسيو بوارو ؟

فقال لها بلهجة حازمة :

– كلا يا سيدتي .. أنا لا أقبل العمل لحسابك ، وان كنت سأفعل ما في وسعي بدافع من الشعور الانساني ، وسأبذل كل ما في جهدي لفض النزاع ، ولكني لست شديد التفاؤل ولا وطيد الأمل في النجاح ..

الفصل الثالث

محاولة

وجد هيركول بوارو جاكلين دي بلفور جالسة فوق الصخور المطلة على مجرى النيل . وكان واثقاً انها لم تأو الى فراشها بعد في تلك الليلة ، وقد صدقت فراسته . فاقترب منها وألفاها تعتمد بذقنها على راحتي يديها وهي تحدق في المياه الجارية ، ولم ترفع رأسها لتنظر من القادم ، فوقف الى جوارها وقال :

– أتسمح الآنسة دي بلفور ان أتحدث اليها لحظة ؟

فرفعت اليه بصرها وبدت على شفتيها ظلال ابتسامة باهتة ، ثم قالت :

– لا ريب .. فأنت المسيو هيركول بوارو فيما أعتقد وهل تسمح لي بالتخمين في أمر صغير قبل ان تبدأ الحديث ؟

– نعم .

– انك تعمل لحساب مسز دويل التي وعدتك بمكافأة ضخمة إن أنت نجحت في مهمتك التي كلفتك بها .

فجلس بوارو الى جوارها ، وقال باسماً

– ان تخمينك صائب في جزء منه . فانني قادم الآن من اجتماع عقد بيني وبين لينيت ، ولكني لم أقبل منها أي أتعاب لأنني رفضت أن أعمل لحسابها.

وهل سبق لك أن رأيتني يا آنسة ؟

- كلا .. لا أظن ذلك .

- أما انا فسبق لي أن رأيتك فقد كنت أجلس الى المائدة المجاورة لمائدتك في مطعم « عند عمي » وكنت أنت ليلتئذ في صحبة سيمون دويل .

فبدا على وجهها تغير ، وقالت بصوت أجش :

– نعم أذكر تلك الليلة ..

– ومنذ تلك الليلة حدثت أمور كثيرة يا آنسة . وانني أتحدث اليك الآن حديث صديق ، إذ أقول لك « ادفني الماضي ، فان ما فات مات »

– هذا حل يوافق لينيت ويريحها !

– لست أفكر فيها الآن ، بل فيك انت . فقد تعذبت كثيراً ، وإني ادرك هذا وأقدره تمام التقدير ، ولكن خطتك الحاضرة من شأنها أن تزيد عليك المتاعب .

– انت واهم ، فانني استمتع بانتقامي .

– ان عقلك جدير ان يدلك على الخير ، وأنت في مقتبل العمر ، والحياة فسيحة امامك .

– انك لا تعرف الحقيقة .. سيمون هو حياتي كلها، فلا سبيل الى التخلي عنه ، وقد كنت أحب لينيت وأثق بها ، ولكنها خانتني في قلبي وتركت حياتي فارغة .

ولماذا أسمح لها أن تستولي عليه ؟

لا تصدق انه تزوجها طمعاً في مالها ، كلا .. ما كان ليفعل هذا ، وإنما هو فتى يعشق الترف والوجاهة ويحب الظهور ، والمال هو الوسيلة الى هذا كله ، والجو الذي يحيط بلينيت جو ساحر ، لأنه يشبه الجو الذي يحيط بالملكات المتوجات ، وقد أزاغ بصره ان يرى المرأة التي تترامى بريطانيا تحت قدميها تعزف عن كل شيء لتختاره هو . وقد كنت انا القمر ، ولكنها كانت

الشمس ، فلما أشرقت الشمس لم يعد للقمر أثر .

وبحركة سريعة دست يدها في حقيبة حريرية صغيرة وأخرجت مسدساً صغيراً مرصعاً باللآلىء ، وقالت :

– إنه يبدو شيئاً جميلاً لطيفاً ، ولكن ثق ان رصاصة واحدة من رصاصاته الصغيرة تكفي لقتل رجل أو قتل امرأة . وأنا بهذه المناسبة بارعه في إصابة الهدف ، فعندما كنت طفلة أمرح في كنف والدتي في ولاية كارولينا الجنوبية ، كان جدي لوالدتي يعلمني الرماية ، لأنه كان من رجال المدرسة القديمة الذين يؤمنون بلغة الرصاص في غسل الاهانات . وكذلك كان ابي ، فقد اشترك في مبارزات كثيرة وهو شاب ، وكان من أبرع اللاعبين بالسيف .

وركزت عينيها في عينيه ، ثم استطردت :

– ها أنت ذا يا مسيو بوارو ترى ان الدماء الحارة تجري في شراييني . وقد اشتريت هذا المسدس عندما اكتشفت الحقيقة ، فقد كان في نيتي أن أقتل أحدهما ، وكان المانع الوحيد انني كنت مترددة أيهما أقتل وكنت أعتقد ان لينيت ستفزع من التهديد ، ولكنها تتمتع في الحقيقة بشجاعة كبيرة. ثم خطر لي أن أطيل عذابها بملاحقتها أينما ذهبت ، فانها على شجاعتها المادية لا تملك الشجاعة الأدبية . وظهوري لها كلما اختليا في مكان سحيق كاف لافساد صفو السعادة عليها. وقد نجحت هذه الخطة ، وبدأت ألتذ بطعم ذلك الانتقام، فهي لا تستطيع ان تأخذ علي شيئاً ، لأنني اثيرها دائماً بفرط أدبي ولياقتي ومجاملتي . إنه السم في العسل .

فقبض بوارو على ذراعيها وقال لها بحدة :

– أرجو منك يا آنسة ألا تسترسلي في هذه الخطة ، وألا تفتحي قلبك للشر . فانك إن فعلت ، لبى الشر دعوتك ودخل قلبك واذا دخل الشر قلباً فانه لا يفارقه بعد ذلك ابداً اوقفي نفسك ، فلا احد – حتى ولا انا –

يستطيع ان يوقفك .

– لن تستطيع ان توقفني ، ولو كنت مقدمة على قتلها .

– نعم ، ما دمت على استعداد لأداء الثمن .

– ها ها ! لست أخشى الموت ! فماذا هنـاك حتى أعيش له ؟ أم تراك من الذين يؤمنون بخطأ القتل انتقاماً من شخص سلبك كل ما لك في الحياة الدنيا ؟

– نعم يا آنسة ، أعتقد ان القتل جريمة لا تغتفر .

فضحكت جاكلين وقالت

– اذن ينبغي ان تقر وسيلتي الحالية في الانتقام . فانني لا ألجأ الى المسدس ما دامت هذه الوسيلة تؤتي ثمارها .. ولكني لا أكتمك انني أخاف من نفسي أحياناً حين تثور الدماء في عروقي وتطغى علي رغبة جبارة في إيذائها ، فأضع هذا المسدس ، بل أغرسه غرساً في رأسها ثم أضغط باصبعي على الزناد ، وينتهي كل شيء !

وفجأة تغير صوتها وصاحت كالمذعورة :

– أوه !

– ماذا يا آنسة ؟

وكانت قد أدارت رأسها وراحت تحدق في الظلام .

– شخص كان يقف هناك في الظلام بين الأشجار وقد انصرف الآن

وتلفت بوارو فلم تأخذ عيناه شيئاً .

الشمس والقمر

وفي الصباح التالي ، فيما كان بوارو خارجاً من الفندق ليتمشى في المدينة ، لحق به سيمون دويل واستأذنه في ان يمشي معه . فلما دخلا الحديقة الظليلة اخرج سيمون غليونه من فمه ، وقال مفتتحاً الحديث :

– لقد علمت يا مسيو بوارو ان زوجتي كان لهـا معك بالأمس حديث ، وقد سرني انك بينت لها إن لا حيلة لنـا في تغيير الوضع القائم .. فهـذه وجهة نظري .

– ليس هناك إجراء قانوني ناجع .

– بالضبط ، ويبدو ان لينيت لم تكن تدرك هذه الحقيقة . فقد نشأت على ان كل شيء في الحياة يجب ان يسير وفق هواها ، وان كل شيء يجب ان يتلاشى بمجرد تبليغ البوليس . ولكن العجيب ان يظن الناس بلينيت الظنون في مسألة زواجنا . فان كان هناك ذنب فهو ذنبي ؛ وإذا فسر الناس موقفي بأنه نذالة ، فهم ورأيهم .

وطأطأ بوارو رأسه ولم ينطق ، فاستطرد سيمون :

– هل تحدثت الى الآنسة بلفور ؟

– نعم ...

– وهل وصلت الى شيء ؟

– احسب انني لم أستطع .

– ألم تتبين انها تسيء الى نفسها وتحط من قدرها بذلك المسلك الذي ينافي الآداب والكرامة واحترام الذات ؟

– انه الانتقام .

– الواقع انها أتلفت أعصاب لينيت ، وكم أتمنى ان أدق عنقها .

– هل تبخر اذن كل ما كان لها لديك من حب ؟ !.

– يا عزيزي بوارو ، لست اجد تشبيهـاً يصور لك الموقف سوى تشبيه القمر والشمس . فانك عندما تطلع الشمس لا يمكن أن تشعر بوجود القمر ، وكذلك بمجرد ان التقيت بلينيت ، تلاشت جاكلين من الوجود ، بالنسبة لي على الاقل .

– تشبيهك يثير اهتمامي ايها السيد .

– وقد يحمل بي أن اقول لك – ولكنها الحقيقة ان جاكلين كانت تحبني أكثر مما يجب كانت تشعر انها تمتلكني امتلاكاً تاماً . والحقيقة يا مسيو بوارو انه ما من رجل يحب ان يشعر انه مملوك ، او يستريح الى ذلك ، ولهذا أردت أن أتحرر ..

وخانه صوته فتوقف عن الكلام، وكانت أصابعه ترتعد وهو يشعل غليونه، فسأله بوارو :

– أتدري انها تحمل مسدساً ؟

– لا أعتقد انها ستستخدمه .. فلو كانت تنوي ذلك لأقدمت على استخدامه من قبل ، اعني قبل ان يتم الزواج . واعتقادي الآن انها تريد مجرد ازعاجنا وتسميم سعادتنا .

– ربما كنت على حق .

– ان كل خوفي على أعصاب لينيت لا على حياتها . واليك الخطة التي فكرت فيها، فربما كان لديك مشورة او تعديلات ادخلها عليها قبل ان اضعها موضع التنفيذ . وقد اعلنت بصوت مسموع اننا ننوي البقاء هنا عشرة ايام اخرى ، ولكن الواقع ان الباخرة الكرنك ستقوم غداً من الشلال ووجهتها وادي حلفا ، وقد اعتزمت ان احجز لنا مكانين باسم مستعار . وفي صباح غد سأذهب مع لينيت الى جزيرة « فيلة » وفي هذه الأثناء ستمضي وصيفة لينيت بحقائبنا للباخرة . ثم نلحق نحن بالباخرة في الشلال . فعندما تتبين جاكلين اننا لم نعد في الجزيرة ، ستكون الباخرة الكرنك قد اقلعت . وفي نيتنا ان نتوجه من هناك الى الخرطوم وبعد ذلك الى بلاد اخرى لا تهتدي اليها ، لأننا سنسافر باسم مستعار .. فلن يفيدها شيئاً الرجوع الى مكاتب السياحة وسجلاتها

– لا تنس يا مسيو دويل ان مقدرتها المالية محدودة ، واني لأعجب كيف استطاعت ان تلاحقكما حتى الآن .

فبدا التردد على وجه سيمون ، وقال :

ـ أعتقد انها تملك ريعاً سنوياً يقرب من مائتي جنيه ، ويخيل الي انها باعت ذلك الريع بمبلغ متجمد كي تنفق على هذه الرحلات الباهظة التكاليف ، ولذلك لا يبعد ان تنفد مواردها بعد حين ، فتكف مرغمة عن ملاحقتنا .

ـ ان خطتك تبدو محكمة ، ولكن تذكر ان جاكلين ذكية ، وليس من السهل مراوغتها . وانا شخصياً مشترك في رحلة الكرنك الى وادي حلفا .

ـ ما أبدع هذا .

ـ ومن الشخص الطويل ، ذلك الأمريكي الوجيه ؟

ـ أتعني مستر بننجتون ؟ انه الوصي الأمريكي على تركة لينيت ، وانها لمصادفة مزعجة ان يكون معنا في رحلة شهر العسل ، ولكنها مجرد مصادفة !..

ـ أحقاً ؟ أتسمح لي بسؤال ؟ هل بلغت زوجتك سن الرشد ؟

ـ انها لم تبلغه بعد وقد كان زواجها مفاجأة تامة للمستر بننجتون ، فقد غادر نيويورك بالباخرة كارمانيك قبل وصول خطاب لينيت الذي يخطره بزواجها بيومين . ولهذا كان خالي الذهن تماماً عندما التقى بنا

ـ يا لها حقاً من مصادفة ..!!

ـ وقد تجلدنا عندما وجدناه مشتركاً في الرحلة النيلية الى اسوان ثم الى وادي حلفا . ولكن صحبته لم تخل من فائدة ، فأعصاب لينيت كانت متوترة لتوقعها ان ترى جاكلين في اي لحظة ، وفي خلوتنا معاً كانت جاكلين موضوع حديثنا الوحيد ، اما وهناك طرف ثالث هو بننجتون ، فالموضوع يظل بعيداً عن ذهننا .

ـ أتسمح لي بسؤال آخر ؟ أكانت رحلة شهر العسل في مصر من اقتراحك انت ؟

فاحمر وجه سيمون ، وقال .

– الحقيقة انني كنت افضل التوجه الى اي مكان آخر ، ولكن لينيت اصرت ، وازاء ذلك .

ثم لم يتم جملته ، وظهر عليه الارتباك . فهز بوارو رأسه ، لأنه ادرك ان لينيت دويل هي صاحبة الكلمة العليا ، وما دامت تريد شيئا فلا بد لزوجها من الاذعان .

وقال هيركول بوارو في نفسه :

– لقد سمعت الآن ثلاث روايات متفرقة عن الموضوع: الرواية الأولى بلسان لينيت دويل، والثانية بلسان جاكلين دي بلفور، والثالثة بلسان سيمون دويل. فأي الروايات اصدق ؟

مضايقة بارعة

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي ، ركب سيمون ولينيت القارب الشراعي الجميل من مرسى فندق كتراكت الى جزيرة فيلة ، لزيارة معبد بطليموس المشهور . وكانت جاكلين دي بلفور جالسة في شرفة الفندق ترقب اقلاعهما ، ولكن الذي لم يتيسر لها رؤيته ، هو قيام السيارة من الباب الأمامي للفندق محملة بحقائب العروسين ، ومع الحقائب الخادمة الفرنسية لويز بورجيه ، وصيفة لينيت الخاصة . وقد اتجهت السيارة الى اليمين ، ميممة شطر الشلال .

وكان هيركول بوارو قد اعتزم ان يمضي الساعتين الباقيتين قبل قيام الباخرة الكرنك في تفقد الجزيرة المواجهة للفندق ، فركب قارباً من قوارب الفندق البيضاء . فوجد فيه الرجلين ، احدهما شاب وصل في اليوم السابق بالقطار ، وهو طويل القامة أسود الشعر بارز الذقن نحيل الوجه يرتدي بنطلوناً من الفانلة الرمادي من أقذر ما رأته العين ، وقميصاً ممزقاً . أما الرجل الآخر فكان كهلاً أنيقاً لم يضع الوقت سدى في القارب بل شرع يتحدث مع بوارو

بالانجليزية ركيكة ، في حين انصرف الشاب عنهما واهتم بمراقبة النوتي . فلمـــا رسا القارب أمام الجزيرة اتجه بوارو وصاحبـه الى متحفهما مباشرة . وابرز الرجل الكهل بطاقة قدمها الى بوارو مكتوب فوقها « السنيور جويدو ريشتي أتري » فقدم اليه بوارو بطاقته وبذلك تم التعارف ، وانتقـــل الحديث من الانجليزية الى الفرنسية وكان الايطالي شديد الاهتمام بالاطلال والتحف ، أما الشاب فلم يطق البقاء داخل المتحف فخرج الى الهواء الطلق ، وأما بوارو فلمح بعد قليل مكاناً ظليلاً بجانب صخرة فاتجه اليه ، فوجـد مسز الرتون جالسة هناك وبين يديها كراسة رسم . وكان يستلطفها كثيراً فجلس يجاذبها أطراف الحديث ، وعرف منها انها مشتركة وولدها تيم في الرحلة النيلية ، ودعته الى مشاركتهما مائدة الطعام اثناء الرحلة فقبل مسروراً . وبعد قليـل نهضـا الى القارب ليعودا الى الفندق ، فاذا بالشاب القذر الثياب مشتبكاً مع الايطالي في مناقشة حامية حول قيمة الآثار المصرية ، وغير المصرية أيضاً . وقـد ظهر من ذلك الحديث بوضوح ، ان الفتى يدعى فيرجيسون وانـه يساري متطرف ، لا يؤمن بالتاريخ ولا بالماضي ولا بالفنون .. وانما كل همه ان تمتلىء كل البطـون ، وعلى الدنيا بعد ذلك العفاء .

وقد استمرت تلك المناقشة الى أن وصل القارب الى الفندق ، وفي البهـو التقى بوارو بجاكلين دي بلفور ، وكانت مرتدية ملابس الركوب ، فانحنت له في شيء من السخرية انحناءة يسيرة ، وقالت :

– اني ذاهبـة لركوب الحمير ، فهـل تشير علي بزيادة القرى المجاورة يا مسيو بوارو ؟

– ولم لا ؟ انها ذات مناظر جميلة .

وأسرعت خارجة .. أما هو فاتجه الى حجزته حيث أتم حزم حقائبه ، ثم هبط الى قاعة الطعام حيث تناول وجبة الغداء . وبعد ذلـــك تولت سيارة الفندق نقل المشتركين في رحلة وادي حلفا الى محطة السكة الحديدية كي يلحقوا

بقطار الساعة الثانية القادم من القاهرة ، ليقلهم الى محطة الشلال ، وهي مسافة يقطعها القطار السريع في عشر دقائق .

أما مسز اوترپورن وابنتها روزالي ، فكانتا قد رحلتا منذ الصباح الى الخزان وجزيرة فيلة ، وقد اعتزمتا ان تتجها من هناك مباشرة الى الشلال

وتأخر وصول القطار نحو عشرين دقيقة – كما هي العادة – واحتل بوارو ديواناً مع مسز الرتون وابنها ، والعانس الامريكية فان شويلر وهي عجوز مغضنة الوجه متحلية بقنطار من الجواهر الثمينة ، وترتدي ثياب القرن الماضي ذات الياقة العالية المنشاة ، وكانت تنظر من قمة هذه الياقة الصلبة الى الناس كافة نظرات الامتعاض والاستعلاء ، وكانت أمامها امرأة دون الثلاثين ، ممتلئة ، عسلية العينين ، تنظر اليها كما ينظر الكلب الوديع الذكي الحسن النشأة !.. وكانت العجوز قد حملت مجلة امريكية تخفي بها وجهها ، ولكنها كانت تطل من ورائها بين دقيقة وأخرى لتلقي الى مرافقتها أمراً لا لزوم له في الواقع ! وكانت تناديها باسم كورنيليا .

وبعد عشر دقائق ، وصل القطار الى مرسى الباخرة النيلية الكرنك . وكانت مسز اوترپورن وابنتها موجودتين على ظهرها ، فركب سائر المسافرين ودلهم الخدم على اماكنهم وقمراتهم ، وكانت مقدمة السطح العلوي للباخرة عبارة عن صالون المراقبة ، جدرانه كلها من الزجاج ، يستطيع الركاب الجالسون فيه ان يشاهدوا انسياب النهر أمام أعينهم وفي السطح السفلي كانت توجد حجرة التدخين وقاعة صغيرة للاستقبال والجلوس ، وأسفلها قاعة المائدة .

فلما رتب بوارو حقائبه في قمرته ، صعد الى السطح العلوي ليشاهد اقلاع الباخرة ، ووقف الى جوار روزالي اوترپورن التي كانت متكئة على الحاجز الحديدي ، وكان الضيق الشديد ظاهراً على وجهها . وفجأة لمعت عيناها ، وقالت :

– عجباً . هذه مسز لينيت دويل وزوجها ! لم يخطر لي مطلقاً انها

قادمان معنا في هذه الرحلة ! فقد صرحا انهما باقيان في أسوان .

وكانت لينيت قد برزت في هذه اللحظة من باطن السفينة ، ومن ورائها زوجها وكان وجهها يفيض بالبشر والسعادة ، وكان سيمون أيضاً يضحك ملء شدقيه ، كأنه تلميذ أبله أفلت من سور المدرسة .

ووقف الزوجان ينظران الى مرامي الباخرة وهي ترفع ثم الى زبد الماء الذي أثارته محركاتها وقد بدأت في الدوران . وهمس سيمون في اذن زوجته.

– ها نحن أخيراً قد ابتعدنا يا لينيت ...

وارتفع من خلفهما صوت ضحكة ناعمة فضية النغمات ، فالتفتت لينيت بسرعة لترى نفسها وجهاً لوجه أمام جاكلين دي بلفور التي بادرتها بقولها :

– هالو لينيت ! لم اكن أقدر ان اجدك هنا . فقد خيل الي انني سمعتك تقولين انك باقية في أسوان عشرة أيام أخرى ، فيا لها حقاً من مفاجأة !

– وأنا أيضاً لم أكن أتوقع أن اراك !

– أحقاً ؟

ثم ابتعدت جاكلين الى الجانب الآخر من الباخرة ، في حين تعلقت لينيت بذراع زوجها في عصبية ظاهرة ، اما هو ، فوقف محملقاً وقد تقلصت أصابعه كمن يبذل جهداً عنيفاً في مغالبة غضبه .

وبعد بضع ساعات ،كان بوارو في صالون المراقبة يتأمل مناظر بلاد النوبة ، حين دخلت لينيت دوبل فوقفت بجواره ، وهي تثني اصابعها وتبسطها في اضطراب شديد ، ثم قالت بلهجة الطفل الضال المشدوه:

– يا مسيو بوارو ! اني خائفة ، خائفة من كل شيء . لم أشعر بمثل هذا الشعور ابداً من قبل . وهذه الصخور القاحلة من حولنا تزيد نفسي انقباضاً ووحشة . الى اين نحن مساقون ؟ اني خائفة كل انسان هنا يكرهني. الجميع يكرهونني ، ما عدا سيمون . ما أفظع هذا .

– ماذا حدث يا سيدتي ؟

– عفوك . أظنه انهيار عصبي.. فاني أشعر ان كل ما حولي مخيف . ترى ما نهاية كل هذا ؟ نحن هنا في فخ ، ولا مخرج لنا . اني لم أعد أعرف ابن انا ، والى اين انا ذاهبة .

وارتمت فوق مقعد ، وظل مسيو بوارو واقفاً ينظر اليها نظرة لا تخلو من رثاء وإشفاق . فلما التقطت انفاسها قالت :

– ترى كيف عرفت اننا مسافران بهذه السفينة ؟ كيف أمكنها ان

– ان لها عقلاً ذكياً كما تعلمين .

– احس انني لن افلت من يدها

– كان هناك حل لست ادري لماذا لم يخطر ببالك، فان المال ليس هو العقبة التي تقف في طريقك يا سيدتي .

– ماذا تعني ؟

– لماذا لم تستأجري ذهبية خاصة لاستعمالكما الشخصي ؟

– انك لا تعلم كل ظروفي يا مسيو بوارو .. فان سيموز مرهف الحس شديد التمسك بالتقاليد ، ولذلك كان مصمماً على ان يتحمل نفقات شهر العسل . وقد كان مجرد الاشارة الى الذهبية الخاصة كافياً لاثارة اعصابه من هذه الناحية الحساسة ، فاضطررت الى ملاينته ، ريثما يتسنى لي تكييفه تدريجياً .

وساد الصمت لحظة ، وكأنها شعرت بالخجل من اندفاعها في ساعة ضعف ، فاستأذنت في الانصراف لتبديل ملابسها .

* * *

جلس بوارو الى مائدة العشاء مع مسز الرتون ذات الشخصيـــة الآسرة ونجلهـا تيم . ولم يخف على بوارو ان الشـاب ، لم يكن مستريحـاً لوجوده معهما . وجاء السـاقي بزجاجة النبيذ الفرنسي ، شراب بوارو المعتـاد ،

اما مسز الرتون فشربت ماء معدنياً ، في حين تناول تيم كأساً من الويسكي بالصودا .

وأدرك بوارو من الحديث ان هذه الاسرة تدين بالمذهب الكاثوليكي ، وانها من تلك الاسر النبيلة العريقة التي ابت ان تساير الانقلاب الديني في عهد هنري الثامن

وفي تلك الليلة ، أحس بوارو برغبة شديدة في النعاس فانصرف الى غرفته مبكراً . وفيما هو على وشك الاغفاء ترامى الى سمعه صوت سيمون دويل في الممر يقول لمن يحدثها :

– لا بد من المضي في الطريق الى النهاية .

وفي الصباح الباكر وصلت الباخرة الى مرحلتها الأولى ، فكانت كورنيليا روبسون اول من نزل الى الشاطىء ، مبتهجة الوجه ، وفوق رأسها قبعتها العريضة ، فلما أبصرت بوارو في بدلته الحريرية البيضاء وقميصه الأحمر وربطة عنقه السوداء على طريقة الفنانين ، حيته ببشاشة ومشت معه قاصدين زيارة المعبد ، فوجدا أمامهما في الطريق روزالي اوتربورن تسير منفردة عابسة ، ثم التقى الثلاثة بعد ذلك بالدكتور بسنر النمسوي وقد أمسك في يده نسخة المانية من دليل للسياحة ليستدل منه على آثار المنطقة وعن كثب كانت مسز الرتون تتحدث الى جيمس فانثورب ، اما بننجتون – الوصي الامريكي – فكان يتأبط ذراع لينيت دويل ، والجميع يصغون بانتباه شديد للشروح التي يلقيها عليهم الترجمان عن تمثال رمسيس الضخم .

وعادت الجماعة الى السفينة بعد جولة قصيرة ، فاستأنفت مسيرها ، وقد تبدلت الصخور المقفرة على الشاطئين ، وحلت محلها أشجار النخيل والزراعة المتناثرة ، فساعد ذلك على اختفاء الوجوم من وجوه كانت منقبضة ، ولا سيما وجهي روزالي ولينيت .

وانتهز بننجتون الفرصة ، فقال للينيت :

- ربما كان مما ينافي الذوق ان يتحدث المرء في شئون الأعمال الى سيدة في شهر العسل ، ولكن هناك بعض مسائل ..

- لا عليك يا عمي اندرو.. فان زواجي المفاجيء ترتب عليه بطبيعة الحال أمور عاجلة تستدعي البت .

- هذا هو فعلا ، وربما احتجت في وقت ما الى توقيعك على بضع أوراق ، لأن توقيعي لم تعد له قيمة .

- ولماذا لا يكون هذا الوقت الآن .

وتلفت بننجتون فوجد ان ركن صالون المراقبة الذي يجلسان فيه خال ، لوجود معظم الركاب على ظهر السفينة . ولم يكن في الصالون في ذلك الوقت الا اليساري المتطرف فيرجيسون ، وكان جالساً الى مائدة منعزلة وقد وضع ساقيه على مقعد آخر يشرب قدحاً من البيرة ويصفر . وكان هناك ايضاً بوارو ينظر من خلال الزجاج الأمامي الى المنظر المترامي الآفاق ، والعانس فان شويلر التي كانت جالسة في الركن تقرأ كتاباً عن مصر .. فوجد بننجتون ان المكان مناسب ، فتركها ومضى ليحضر الأوراق من قمرته ، ثم عاد بعد لحظات وفي يده ملف من الأوراق المكتظة بالكتابة الدقيقة ، فصاحت لينيت عندما رأتها :

- رباه ! هل سأوقع على جميع هذه الأوراق ؟

- هذا مزعج طبعاً . ولكن احب ان تكون أعمالك مستوفاة . فهذا أولاً عقد ايجار عمارة الشارع الخامس في نيويورك ، وهذه عقود الأراضي الغربية ..

وطفق يرتب الأوراق حسب أنواعها، فأخذ سيمون يتثاءب. وعندئذ دخل الصالون المستر فانثورب ، فتلفت حوله ثم اختار الوقوف الى جوار بوارو لمشاهدة المياه الزرقاء الباهتة ورمال الشاطىء الصفراء . وأشار بننجتون الى موضع خال في الأوراق وقال :

- وقعي بامضائك هنا .

فتناولت لينيت الوثيقة وراحت تجري عليها بعينيهـــا بين سطورها ، ثم قلبتها وراحت تقرأ من اول الصفحة الاولى ، ثم بعد ذلك تناولت القلم ووقعت بامضائها ، فتناول بننجتون الوثيقة وقدم لها غيرها . وعندئذ اتجه جيمس فانثورب نحوهم ، ويبدو ان الشاطىء الذي كان الى جهتهم كانت رماله ذات سحر خاص استرعى التفاته .

وقال بننجتون

- هذا مجرد عقد ايجار لا لزوم لقراءة جميع تفاصيله .

ولكن لينيت القت عليه نظرة ، وراحت تقرأ بعناية فقال :

- هذا حشو من المصطلحـــات القانونية لا تتعبي رأسك يا ابنتي في قراءته ، وإلا استغرق ذلك وقتك حتى موعد الغداء .

- انني دائماً أقرأ كل شيء بعناية .. فقد علمني ابي ذلك ، وكان يقول دائماً انه ليس من المستحيل ان يكون هناك خطأ كتابي .. اليس هذا جائزاً ؟

فضحك بننجتون ضحكة مغتصبة ، وقال سيمون :

- أنا لا صبر لي على قراءة شيء ، فأنا أثق بطبعي بجميع الناس . ومن عادتي ان أوقع دائماً حيث يشيرون .

فرمقه بننجتون بنظرة فاحصة في كثير من التأمل ، وقال :

- هكذا خلقت ، ولم يحدث أبداً ان غرر بي احد .

وفي هذه اللحظة ، حدث ما أدهش الجميع . فقد استدار جيمس فانثورب على عقبيه ، ووجه الخطاب الى لينيت التي لم يعرفه بها احد :

- أرجو ألا أكون متطفلاً . ولكن إسمحي لي أن أطري كفاءتك في ادارة الأعمال ، فانني قد صادفت في عملي - وانا محام - سيدات لا يقدرن مسئوليات الاعمال . وخيراً تصنعين الا توقعي وثيقة إلا بعد قراءتها قراءة دقيقة .

ثم انحنى لها وقد احمر وجهه خجلاً ، فقاومت لينيت الضحك ، ثم قالت له :

– شكراً لك .

اما بننجتون فتضايق ، في حين ابتسم سيمون ، وقالت لينيت وهي تبتسم لبننجتون :

– الوثيقة التالية من فضلك .

– يحسن ان ترجئي الباقي الى وقت آخر ، فقد اقتربت ساعة الغداء ، وبقية الأوراق ليست عاجلة .

– ليكن . . والآن هيا بنا الى السطح ، فالحر هنا شديد .

وخرج الثلاثة ، فحدق بوارو في ظهر فانثورب ولفت نظره شدة احمرار اذنيه بسبب اندفاع دماء الخجل اليهما . ثم حول نظره الى العانس فان شويلر ، فوجدها تكاد تلتهم فيرجيسون بنظراتها المفترسة لأنه كان يصفر كما يفعل السوقة . وفي هذه اللحظة دخلت كورنيليا فاذا بخالتها توبخها توبيخاً شائناً لأنها غابت عن عينيها ، وراحت تذكرها بأنها اصطحبتها على حسابها ، فيجب على الأقل ان تحظى منها بالعناية والاعتبار . ثم طلبت وضع كرسي لها على السطح كي تستنشق الهواء . فآثر بوارو أن يخرج هو أيضاً الى الى الهواء الطلق ، وراح يتمشى عند مؤخرة السفينة ، وإذا به يكاد يصطدم بشابة سمراء ، لاتينية الملامح ، كانت واقفة تتحدث الى شخص يرتدي زي المهندسين البحريين ، فلما أبصراه ظهر عليهما الارتباك بدرجة لفتت نظر بوارو .

* * *

وفي صباح يوم الاثنين رست الكرنك أمام معبد منحوت في الصخر ، في

وجـه الجبل .. وقد نحتت حـوله في صخور الشاطىء الجبلي أربعـة تماثيل ضخمة .

وكانت البشاشة تعلو جميع الوجوه في ذلك اليوم ، وقد نزلوا جميعاً لزيارة ذلك الهيكل العظيم ، وهو المعروف باسم معبد ابي سنبل وراح بوارو يجاذب بننجتون أطراف الحديث ، فعرف منه مبلغ صلته بجد لينيت وكيف صار من الأوصياء على تركتها . فلما وصلا الى باب الهيكل افترقا في الزحام ، وكان الترجمان يشرح بصوته الجهوري ما تقع عليه العين من تماثيل ولوحات . وبعـد قليل صاح سيمون :

– لقد ضقت بهذا الظلام ، فهيا بنا نخرج الى ضوء النهار .

فضحكت لينيت ولكنها أذعنت ، وخرجا الى الرمال الدافئة . ولما كانا غير راغبين في العودة مباشرة الى السفينة ، أسندا ظهريهما الى الجدار الصخري المرتفع الذي شادته يد الطبيعة ، وحفرت فيه يد الانسان المعبد العتيق ، وراحا يستمتعان بدفء الشمس والرمال ، ولم تلبث لينيت ان قالت :

– كم أشعر بالسعادة هنا ، وبالأمن !

وأغمضت عينيها ، كأنها نصف نائمة .. أما سيمون فكان مفتوح العينين ، فأبصر عدداً كبيراً من المسافرين يسرعون نحوهما وهم يلوحون بأيديهم في الهواء ، فجعل يحملق في مبدأ الأمر في غباء وبلاهة ، ثم أدرك بعد قليل ما يهدفون اليه من اشاراتهم فقفز واقفاً على قدميه وجذب زوجته من ذراعها ، وفي اللحظة التالية سقطت في المكان الذي كانت جالسة فيه كتـلة ضخمة من الصخر انحدرت من فوق قمة الجبل ، فلو ان لينيت ظلت في مكانها لـحقتها سحقاً . وتعانق الزوجان وقد ابيض وجهاهما ، في حين أسرع نحوهما بوارو وتيم الرتون يهنئانهما ، ثم نظر الأربعة نحو القمة فلم يبصروا شيئاً ، ولكن هناك طريقاً متعرجاً يؤدي الى القمة من امام مرسى الباخرة .

ولم تنطق لينيت ، اما سيمون فكان وجهه ينطق بالغضب الشديد ، وهتف

من بين اسنانه في غيظ .

– عليها اللعنة !

ثم رمق تيم الرتون بنظرة سريعة ، وقاوم غضبه حتى لا يفتضح السر لهذا الشاب الغريب. اما تيم فراح يبدي دهشته وحيرته: هل سقطت الصخرة بفعل فاعل ، ام سقطت وحدها مصادفة ؟ فتدخل بوارو إنقاذاً للموقف قائلاً :

– يحسن ان تسرعي بالعودة الآن الى السفينة ، كي تتناولي شيئاً يرد اليك قواك .

فأسرع الأربعة عائدين .. فلما أشرفوا على موضع الباخرة ، وقف سيمون مبهوتاً، فقد كانت جاكلين ديبلفور تهبط السلم الى الشاطيء مرتدية ثوباً كحلي اللون ، وعلى وجهها آيات البراءة والطفولة ، ولم يلبث ان صاح هامساً :

- يا إلهي ! لقد كانت إذن قضاء وقدراً !

وتلاشى الغضب من وجهه .. وبدا عليه الارتياح .

وفي هذه اللحظة التفت بوارو الى الوراء ليرى ماذا حدث لبقية الجماعة ، فأبصر فان شويلر عائدة معتمدة على ذراع ممرضتها مس بويرز ، ومن خلفها السيدة الرتون والسيدة اوتربورن، وأما الباقون فلم يشهد لهم أثراً ، فهز رأسه وصعد الى سطح الباخرة .

الفصل الرابع

ضابط المخابرات البريطاني

وصلت الباخرة الى وادي حلفا ليلاً ، حتى اذا أشرق الصبح خرج ركاب الكرنك لمشاهدة الشلال الثاني على ظهور الجمال ولكن بوارو ومسز الرتون آثرا السير على الأقدام ، وبذلك توافرت لهما فرصـــة لحديث الكهول ذوي الذكاء والحكمة . ودار الحديث حول حادث اليـوم السابق قرب معبد أبي سنبــل ، فقالت مسز الرتون :

– لقد نجحت بأعجوبة ، ولا أستبعد ان يكون بعض الأطفال النوبيين قد فعلها على سبيل العبث الصبياني البريء .

– ربما كان ذلك يا سيدتي .

ثم غير موضوع الحديث ، فسألها عن جزيرة ماجور الأسبانية ، بحجة رغبته في قضاء بعض الوقت هناك وفي هذه الأثناء كان تيم الرتون منصرفاً الى مجاذبة روزالي أوثربورن أطراف الحديث ، فقد كان معجباً بالفتاة المتحفظة الى أقصى حـدود الاعجاب . وقد جعـل في حديثه يصور نفسـه على أسوأ صورة ، ويبين لها كيف تأبى عليه صحته الخائرة ان يعمل عملاً يدر عليه المال ، وكيف أن ثروته الموروثة من القلة بحيث لا تسمح له بحياة فراغ وبطالة خالية من السأم ، فقالت روزالي :

- ولكن الأقدار منحتك نعمة يتمناها الكثيرون ، وأعني بذلك تلك الأم الفاضلة العطوف .

- صدقت في هذا .. فهي نسيج وحدها .

وتمنى تيم لو استطاع ان يرد تحيتها بمثلها ، فيطري أمها كما أطرت أمه ، ولكن الكلام وقف في حلقه .

وأما فان شويلر فانها بقيت في السفينة لأن الرحلة مرهقة ، وحبست معها ممرضتها مس بويرز ، لأن كورنيليا كانت قد أسرعت بالخروج الى الشلال في صحبة الدكتور بسنر الكهل . وكانت في مبدأ الأمر تعترض على مجاذبتها ذلك الطبيب أطراف الحديث ، إلى ان علمت ان له عيادة ناجحة في فيينا ، وان له شهرة تعم بلاد اوروبا في الأمراض العصبية ، فكفت عن الاعتراض والزمجرة وصارت تهش له .

ولما عاد الرفاق الى السفينة ، أطلقت لينيت صيحة دهشة .

- « أبرقية لي ؟ » وأسرعت تفضها ، ثم صاحت :

- لست أفهم حرفاً واحداً : بطاطس وبنجر ؟ ما معنى هذا يا سيمون بربك ؟

وهم سيمون أن يسرع اليها ، لولا ان السنيور ريشتي الاثري الايطالي اختطف من يدها البرقية وهو يقول .

- هذه البرقية لي انا .

فأسرعت لينيت تعتذر اليه قائلة :

- لقد كان اسمي حتى تزوجت من مدة قريبة مس ريدجواي وهو يشبه في الكتابة السريعة ريشتي ، فلا تؤاخذني لهذا الخطأ ، فانني لم أقصد طبعاً أن أطلع على برقيتك .

ولكن ريشتي أجابها بفظاظة :

- إن الأسماء يجب أن تقرأ دائماً بعناية ، والخطأ الناتج عن التسرع في هذه

الأحوال لا يغتفر

فوجدت نفسها في موقف حرج، وتأبط سيمون ذراعها ونزلا الى الشاطىء. وفي هذه اللحظة ظهر على سطح السفينة رجل طويل القامة نحاسي اللون كأن الأرض قد انشقت عنه ، فاستقبله بوارو بالترحيب القلبي، فقد كان هذا الرجل هو الكولونيل ريسي صديقه القديم وكان بوارو يعلم أن الكولونيل ملحق بقلم المخابرات البريطاني، وانه يظهر دائما في أطراف الامبراطورية في أوقات الأزمات وعلى غير انتظار . وقال الكولونيل :

– سأركب معكم الكرنك عائداً الى أسوان .

– عجباً يا كولونيل ألم يكن الأوفق ان تركب باخرة الحكومة ، فهي أسرع وأوفر راحة ؟ ان باخرتنا تسير نهاراً وتقف ليلاً ، في حين تسير باخرة الحكومة ليلاً ونهاراً .

– الواقع انني مهتم بمراقبة أحد ركاب هذه الباخرة في رحلتها .

– اني أعرفهم جميعاً ، فمن هو ؟

– اني للأسف لا أعرفه حتى الآن .. انه متآمر دولي ومرتكب جملة جرائم قتل ، وهو واسع الحيلة في التنكر وكل ما أعرفه عنه انه من ركاب الكرنك .

– يسرني كثيراً أن تصحبني ، ولعلنا نصل معاً الى اكتشاف ذلك القاتل الغامض الشخصية وبهذه المناسبة أذكر لك ان الكرنك غير خالية من جو الجريمة والمغامرة .

ثم شرع يقص على الكولونيل ملخصا مجملا لمشكلة لينيت وزوجها وصديقتها القديمة ووصيها الأمريكي ، ثم ختم ذلك كله بحادثة الصخرة ، وعقب على ذلك بقوله :

– أضرع الى الله أن نصل الى أسوان دون أن يحدث أمر جلل .

رصاصة في الساق

في طريق العودة رست الباخرة مرة اخرى بالقرب من معبد ابي سنبل ، وكان الوقت ليلا .. فدبرت ادارة الباخرة زيارة للمعبد في ضوء صناعي ، وبذلك اختلف الجو عن الزيارة الأولى التي كان الظلام فيها يقبض الصدور ، وكان الذي يصاحب كورنيليا في هذه المرة هو الفوضوي فيرجيسون ، ومن عجب ان ذلك الفتى قد فتن بهذه الفتاة الطيبة البسيطة . فلما قالت له انها كانت تود لو كان الدكتور بسنر بجواره ليشرح لها تلك المشاهد الجميلة استاء وقال لها :

– لست أدري كيف تطيقين صحبة هذا الشيخ الممل ..

– انه من اطيب خلق الله وأرقهم قلباً وأكثرهم ثقافة .

– ثقافة ؟ هذه الكلمة تقززني ، وأظن أيضاً ان خالتك لا تحب ان تتحدث معي ، فأنها ارستقراطية متعجرفة ، لا تراني ندا لها .

– كم أود لو اقلعت عن هذه النوبات الثورية .

– وكيف لا أثور لتلك الفروق الخرافية بين البشر .

– بل أعتقد ان هناك آفة في معدتك تجعلك ثائر الاعصاب ، حاد المزاج . سأعطيك قليلاً من دواء البيسين الذي تتعاطاه خالتي فان شويلر ، وعسى أن يهدىء هذا من ثورة أعصابك .

– اسمعي ! أنت أحسن مخلوق بين ركاب هذه السفينة . هذه هي الحقيقة فاذكريها دائماً ولا تسمحي لخالتك أو لغير خالتك ان تنظر اليك باستعلاء .

وأسرعت الفتاة بعد ذلك الى السفينة لتلحق بخالتها ، فاذا بها تتحدث في صالون المراقبة الى الدكتور بسنر ، وتسأله عن مرضاه من الأمراء والكبراء فلما وقع بصر خالتها عليها صاحت بها :

– أين شالي القطيفة ؟ انني بحثت عنه فلم أجده .

وأسرعت كورنيليا تبحث عن الشال الثمين فلم تعثر له على أثر ، فقامت فان شويلر ممتعضة لتأوي مبكراً الى مخدعها بسبب حرارة الجو . وظـل سيمون ولينيت يلعبان البريدج مع بننجتون والكولونيل ريس على مائدة في أحد الاركان ، وأما بوارو فكان يتثاءب بشدة وهو جالس الى مائدة صغيرة قرب الباب ، بينما كان فانثورب جالساً يطالع في كتاب . وفيما عـدا هؤلاء كان الصالون خالياً .

ونهض بوارو فخرج الى سطح السفينة ، وإذا به يكاد يصطدم بجاكلين التي كانت مقبلة من الجهة الأخرى على عجل ، فتبادلا التحية ثم استأنف سيره الى قمرته لينام ، ودخلت جاكلين الصالون .

وكانت كورنيليا قد فرغت من مصاحبة خالتها الى مخدعها ، فعادت حاملة أشغال الابرة الى الصالون لأنها لم تكن قد شعرت بعد بالرغبـة في النوم . وما أن استقرت في مجلسها حتى دخلت جاكلين دي بلفور فوقفت عند عتبة الباب وقفة التحدي ، ثم ضغطت بيدها الجرس وجلست في مواجهـة كورنيليا ، فسألتها :

– هل زرت المعبد الليلة ؟

– نعم .. فالليلة مقمرة ، والمنظر رائع .

– نعم هي ليلة جميلة حقاً . ليلة شهر العسل بمعنى الكلمة .

واتجهت نظراتها نحو مائدة البريدج ، فاستقرت على لينيت . وفي هـذه اللحظة جاء الخادم تلبية للجرس ، فأمرته جاكلين ان يحضر لهـا كأساً كبيرة من شراب الوسكي القوي .. فرمقها سيمون بنظرة سريعة ، وظهر على وجهه شيء من القلق ، ثم بـدأ يشرد عن اللعب ، الأمر الذي كان يضطر زوجته الى تنبيهه من حين لآخر كي يلعب عند حلول دوره .

وأحضر الساقي الكأس ، فشربتها جاكلين جرعة واحدة وهي تقـول بصوت معربد :

– في صحة الجريمة !

ثم طلب من الساقي كأساً أخرى ، وراحت تغني بصوت مرتفـــع – الأغنية التي مطلعها : « لقد كان رجلها ، ولكنه خان عهدها ».

فنهضت لينيت واقفة ، وقالت :

– أشعر بالنعاس ، سأذهب الى فراشي .

و كذلك نهض الى مخدعه كل من الكولونيل ريسي ومستر بننجتون ، أمـــا سيمون فأعلن انه سيبقى قليلاً حتى يتنـــاول كأساً من الشراب ، فانصرفت لينيت وحدها ومن ورائها ريسي وبننجتون ، وشرعت كورنيليا تجمع أشغال الأبرة كي تنصرف . ولكن جاكلين توسلت اليها أن تبقى ولا تتركها وحيدة، فأذعنت الفتاة الطيبة لرجائها وحضرت الكأس الثانية فشربتها مرة واحدة أيضاً ، ثم أخذت تغني أغنيتها من جديد ، فتحركت كورنيليا لتقوم محتجـة بأن الوقت قد تأخر ، فتشبثت بها جاكلين قائلة :

– محال ان ادعك تذهبين .. اجلسي وحدثيني عن نفسك .

– ليس هناك ما يستحق الذكر ، فأني لم أفارق دارنا قبل هـذه المرة ، ولهذا استمتع بكل لحظة من لحظات الرحلة .

– كلا كلا .. حدثيني عن نفسك بالتفصيل .

فاضطرت الفتاة الخجول أن تبدأ في سرد تفاصيل لا لون لها ولا طعم ، و كلما همت ان تكف عن الكلام ، استحثتهـا جاكلين على الكلام ، وهي لا تفرغ من احتساء كأس حتى تطلب كأساً سواهـا ، و كانت الفتـاة تعجب في نفسها لذلك السلوك ، ويحدثها قلبهابأن شيئاً غير عادي لا بد ان يحدث .

ولم يكذبها شعورها ، فان جاكلين التفتت فجأة نحو سيمون دويـل الذي كان غارقاً بين دفتي مجلته وقالت له ببساطة :

- اضغط الجرس يا سيمون ، فاني أريد كأساً أخرى

لقد شربت ما فيه الكفاية يا جاكلين

وإذا بجاكلين تنفجر في وجهه صائحة :

– وما شأنك أنت ؟

فهز كتفيه وقال بهدوء :

– لا شيء !

فجعلت تحدجه بنظراتها ، دقيقة أو دقيقتين ، ثم قالت :

- ماذا دهاك يا سيمون ؟ أخائف أنت ؟

فلم يجبها ، وراح يقلب صفحات المجلة بأمعان ، وتململت كورنيليافي مقعدها تهم بالانصراف ، فقالت جاكلين :

– لا تنصرفي ، فاني بحاجة الى وجود امرأة اخرى معي هنا لتشد أزري.

ثم ابتدأت تضحك بحالة عصبية ، وقالت :

– اتعلمين ماذا يخشى سيمون ؟ انه يخشى بعد ان قصصت انت قصة حياتك ان اروي لك قصة حياتي أنا ، لماذا ، لأنني كنت مخطوبة له يوماً ما .

– أحقاً ؟

– انها قصة محزنة جداً .. لقد عاملني أسوأ معاملة . أليس كذلك يا سيمون ؟

فقال لها سيمون حينئذ بخشونه :

– أذهبي الى فراشك يا جاكلين ، فانت سكرانة .

– إذا كنت محرجاً يا عزيزي سيمون من سماع ماضيك ، فأنت مخير في مغادرة الحجرة .

– بل سأبقى ..

وعندئذ أقفل تانثوب الكتاب الذي كان مستغرقاً في قراءته ، ثم تثاءب ونظر في ساعته ثم غادر الصالون ، أما جاكلين فقد اعتدلت في مقعدها وحملقت في وجه سيمون ثم صاحت بصوت غليظ :

– أتظن أيها الأحمق انك قادر على أن تصنع بي ما صنعت ثم تمضي ناجياً آمناً ؟. لقد قلت لك يوماً انني سأقتلك ولا أتركك لامرأة أخرى ، وقـد حسبتني أهذي ولا أعني ما أقول ، والحقيقة انني كنت أنتظر وأتربص فأنت رجلي ! أسامع أنت ؟ أنت ملك يميني .

وظل سيمون دويل لائذاً بالصمت ، وإذا بيـد جاكلين تعبث لحظة في حجرها ثم اذا بها تبسطها أمامها وتطلق عليه الرصاص، فاذا به يصرخ صرخة مكتومة وهو يتلوى ثم يسقط على المقعد . وصرخت كورنيليا ثم اسرعت نحو الباب تنادي فانثورب الذي كان واقفاً بالقرب منه منحنياً فوق سيـاج السفينة وأسرع فانثورب ، في حين وقفت جاكلين كالمصعوقة فاغرة الفم ، ثم أخذت ترتعد رعدة عنيفـة تشملها من قمة الرأس إلى أخمص القدم ، وقد تسمرت عيناها على البقعة القرمزية التي كانت قد انتشرت عند ساق سيمون وخضبت رجل بنطلونه في أسفل الركبة مباشرة، كما خضبت المنديل الذي كان قد ضغط به على موضع الجرح ، وسقط المسدس من يدها على الأرض ، فركلته بقدمها فاندفع إلى أسفل مقعد من مقاعد الصالون، في حين جعل سيمون يصيح بصوت متحشرج :

– أستحلفك يا فانثورب بحق السماء أن تكتم الخـبر . أني أسمع وقع أقدام .. قل أنها ضجة مزاج أو أي شيء . تكتم الفضيحة ..

فطمأنه فانثورب ، واتجه نحو الباب الذي أطل منه الخادم النوبي وهو يفرك عينيه من أثر النعاس ، وأخبره أن المسألة لا تعدو مزاحاً من مزاح السكارى ، فافتر ثغر الخادم النوبي عن أسنانه اللؤلؤية ثم انصرف راجعـاً ، فقال فانثورب :

– لا أظن أحداً آخر قد سمع ، فالصوت ضعيف ، وهو أشبه ما يكون بفرقعة سدادة زجاجة ، وعلينا الآن .

وفي هذه اللحظة انطلقت جاكلين تنشج ببكاء هستيري وهي تقول :

– آه يا ربي .. ليتني مت قبل هذا ! سأقتل نفسي ، خير لي أن أموت ، ماذا فعلت ؟

فأسرعت كورنيليا نحوها تحاول تهدئتها لكي لا تفوح رائحة الفضيحة ، وأما سيمون الذي كان يتلوى من الألم فجعل يقول :

– أخرجاها أرجوكما فوراً .. أذهبا بهـا الى مخدعها . أرجو منك يا كورنيليا ان تكلفي ممرضة خالتك بملازمتها واعطائهـا عقاراً مهدئاً . ثم بعد ذلك استدعي الدكتور بسنر ليحاول تضميد الجرح ، وسأدبر قصة أضلل بها الأمر على زوجتي ، فانها يجب ألا تعلم الحقيقة بأي ثمن .

ووافق فانثورب وكورنيليا على ان ستر الحقيقة واجب .. وتعاونا معاً في اخراج جاكلين ، التي كانت تقاوم وتبكي وتريد ان ترتمي على الأرض تارة ، وأن تفلت لتلقي بنفسها في النيل تارة أخرى وهي تصيح بصوت مختنق :

– آه يا حبيبي سيمون ! لا أريد أن أعيش .

فقال فانثورب لكورنيليا :

– اذهبي أنت فأيقظي الآنسة بويرز لتحضر معها حقنة مورفين او ما أشبه ، وسألازم أنا الآنسة دي بلفور ريثما تأتين بها الى مخدعها .

وانصرفت كورنيليا لتفعل ما أشار به فانثورب . أما جاكلين فأجهدت فانثورب بكثرة محاولاتها الافلات الى سطح السفينة لتغرق نفسها في النيل ، فظل يقاومها بكل قوته حتى كاد يصيبه الأعياء . وحمد الله حين انفرجت الستائر عن الآنستين بويرز وكورنيليا ، ثم حقنتها الآنسة بويرز بحقنـة المورفين . وعندئذ توجه فانثورب الى مخدع الدكتور بسنر ، فطرق البـاب ثم دخل دون ان ينتظر اذنه بالدخول ، وليوقد النور ويفضي للطبيب – الذي يفرك عينيه من أثر النوم – بما وقع ، فأسرع الرجل بارتداء الروب على عجل ، ثم تناول حقيبة ادواته التي تستخدم في الاسعاف الاولي ، وصحبه فانثورب

الى الصالون .

وكان سيمون قد تمكن في اثناء ذلك من فتح النافذة المجاورة لمقعده ، وانكفأ فوقها يملأ صدره من الهواء حتى لا يغمى عليه . وكان وجهه شاحباً كوجوه الموتى ، وقد تلطخ البساط ببقعة من الدم ، وتلطخ كذلك منديل كبير . فشرع الطبيب في فحص الساق بدقة وعناية ، ثم قال :

– ان النزف غزير ، فيجب ان تساعدني يا فانثورب كي نحمله الى قمرتي فهو لا يستطيع السير .

وفيما هما يحملانه ظهرت كورنيليا ، فلما رآها الطبيب انفرجت أساريره وقال لها :

– أهذا أنت ؟ تعالي معنا فانني بحاجة الى من يساعدني في العملية ، وأنت أصلح لهذه المهمة من صديقنا هذا الذي بدأ لونه يكفهر منذ الآن .

فابتسم فانثورب ابتسامة كالحة ، وقال :

– هل أدعو الانسة بويرز ؟

فالتفت الدكتور بسنر الى كورنيليا وقال لها

– هل تستطيعين مساعدتي دون ان يغمى عليك او يحدث لك شيء سخيف من هذا القبيل ؟

– انني أستطيع أن أفعل كل ما تطلبه مني.

وبذلك تحرك الموكب الرباعي مخترقاً سطح السفينة ، واستغرقت الدقائق العشر التالية جهوداً جراحية . أظهر سيمون خلالها تجلداً أثار اعجاب الطبيب النمسوي ، ثم حقنه بالمورفين لينام ، بعد أن طمأنه الى انه سيكتم السر ويزعم ان الاصابة حدثت نتيجة لانزلاق سيمون ، وانه سوف لا يزعج زوجته من نومها .

– ورجاء آخر يا دكتور .. أرجو ان تعني أشد العناية بجاكلين ، فانها معذورة وأنا الذي اخطأت في حقها خطأ فاحشاً ، وقد كانت المسكينة في

غير وعيها .

– لا تقلق واستسلم للنوم ، فان الانسة بوبرز ستلازمها طول الليل .

– نعم يا سيمون ؟

– المسدس من فضلك .. يجب الا تتركه ملقى هناك ، حتى لا يعثر عليه الخدم في الصباح وهم يقومون بالتنظيف .

– اطمئن . سأذهب الان وأخفيه .

وانطلق فانثورب ، فالتقى عند باب قمرة جاكلين بالانسة بويرز التي قالت له:

– لقد هدأت الان وسأبقى معها الى الصباح ، لأن المورفين يسبب مضاعفات لنفر من الناس .

واستأنف فانثورب مسيره الى الصالون ... وبعد ثلاث دقائق كان يطرق باب الدكتور بسنر ، فلما خرج الطبيب انتحى به جانباً فوق ظهر السفينة وهمس في اذنه :

– لم أعثر على المسدس

– ماذا تقول ؟

– المسدس .. لقد وقع من يد الفتاة فركلته تحت مقعد أمام عيني وهي في ثورة غيظها ، ولم أجده هناك .

وتبادل الرجلان نظرات الحيرة :

– ومن عساه يكون قد أخذه ؟

– لا أدري ، وان هذا لعجيب .

وافترق الرجلان على توجس وقلق وحيرة .

الفصل الخامس

مقتل لينيت

كان بوارو يمسح الصابون عن وجهه بعد ان حلق ذقنه في صباح اليوم التالي عندما دخل عليه الكولونيل ريسي من دون ان ينتظر الاذن ، وأقفل الباب من ورائه ليقول له :

– قتلت لينيت دويل . أخترق الرصاص رأسها الليلة الماضية ..

ووجم بوارو لحظة .. فقد تذكر ان جاكلين قالت له في حديقة أسوان : « كم أتمنى ان اغرس مسدسي الصغير هذا في رأسها،ثم اضغط على الزناد وينتهي كل شيء » . واستطرد ريسي يقول :

– وقد عهد الي بالتحقيق .. ان الباخرة ستقلع بعد نصف ساعة ، ومع هذا فأنها لن تقلع حتى أصدر الأمر بذلك شخصياً ، فهناك احتمال كبير أن يكون القاتل قد تسلل من الشاطىء ، واني على كل حال افوض اليك الأمر فأنت فارس هذا المضمار ، وقد تركت الدكتور بسنر يفحص الجثة

وقبل بوارو المهمة الخطيرة بغير تردد .

وكانت في الباخرة اربع قمرات فاخرة ملحق بكل منها حمام ، وكان يحتل القمرتين اللتين في جهة المرسى الدكتور بسنر ومستر بننجتون ، ومن

الجهة الأخرى قمرة العانس فان شويلر ثم قمرة لينيت دويل وتليهـــا حجرة ملابس زوجها .

وتوجه بوارو والكلونيل الى مخـدع القتيل ، حيث كان الدكتور بسنر يفحص الجثة ، وقد قال لهما بعد ان فرغ من الفحص :

– لقد اطلق الرصاص من مسافة قريبة جداً ، فوق الأذن مباشرة ، والرصاصة صغيرة الحجم جداً ،من عيار ٢٢ ، وقدق اخترق الجلدحول موضع الاصابة لأن فوهة المسدس كانت ملاصقة له . وكانت القتيل نائمة ، فـلم تحدث مقاومة .

وشرع بوارو يفحص الجثة بنفسه .. فلاحظ فوق بياض الجدار الناصـع حرف « ج » وقد كتب بمادة حمراء اللون ، فانحنى فوق القتيل وتناول يدها اليمنى ، فوجد اصبعاً من اصابعها مخضبا بالدم ، والمفروض ان هذه الاصبـع هي التي كتبت ذلك الحرف على الجدار ، فصاح بسنر عندما لاحظ ذلك :

- هذا مستحيل . هذا تضليل .. فان المسكينة قد ماتت في الحال ، فلا يمكن ان تكون قد فعلت ذلك .

- هذه حيلة طبعاً المقصود بها الايهام بأن القتيل قد تعرفت على شخصيـة القاتل ، فكتبت الحرف الأول من اسمه بعد ان خضبت اصبعها بالدم النازف منها .

فقال الكولونيل ريس :

– ومن الذي يبدأ اسمه بحرف الجيم ؟

- جاكلين دي بلفور ، خطيبـة دويل السابقـة ، وكانت قد اطلعتني في أسوان على مسدس صغير زعمت انها تريد ان تضعه اصق رأس لينيت دويل ثم تضغط على زناده .

– أليس هذا ما حدث فعلاً ؟

- قد يكون ولكن خبرني يا دكتور بسنر ، متى تقدر أن الوفـاة قد

حدثت ؟

- الساعة الان الثامنة صباحاً وقد حدثت الجريمة منذ ثماني ساعات او ست ساعات على أقل تقدير ..

- أي بين نصف الليل والثانية صباحاً .

- أجل ..

- وأين زوجها ؟ .. أظنه ينام في القمرة المجاورة ؟

فتولى الدكتور بسنر الجواب قائلاً :

- انه في هذه اللحظة نائم في قمرتي أنا .

ولما رأى دهشة الرجلين ، لم يجد بدا من ان يقص عليهما ما حدث بالأمس من اطلاق جاكلين الرصاص على ساق سيمون ، واصابته بكسر في العظام يحتاج الى الكشف بالاشعة بمجرد العودة الى اسوان . كما ذكر لهما ان جاكلين ظلت تحت حراسة الانسة بويرز طول الليل .

وانتقل الرجال الثلاثة بعد ذلك الى قاعة التدخين ، حيث أمر الكلونيل ربان الباخرة بأن يخصصها للتحقيق الذي سيقوم به مسيو بوارو .

وسأل بوارو عن الشخص الذي اكتشف الجريمة ، فعلم انها الخادمة الفرنسية الخاصة بلينيت - واسمها لويز بورجيه - فقد دخلت لتوقظها كما هي العادة كل صباح فوجدتها على تلك الصورة ، فأسرعت باخطار الربان ، فقرر بوارو بعد ذلك ان يبدأ بتحقيق حادث اطلاق الرصاص على سيمون ، وان يستجوب كورنيليا وفانثورب اللذين شهدا تلك الواقعة . وكانت الحيرة الكبرى ان ظروف الحادث تبعد شبهة القتل عن جاكلين وسيمون على السواء .

ودعيت كورنيليا اولا ، فذكرت الحوادث بترتيبها ، واجتهد بوارو ان يعرف ازمنة الحوادث على وجه الدقة .. فتبين ان لينيث دخلت قمرتها في الحادية عشرة والثلث . وان بننجتون قد انصرف الى مخدعه بعد ذلك بثلاث دقائق أو اربع . أما وقت اطلاق الرصاص على سيمون ، فقد حدده فانثورب

إذا كان قد نظر في ساعته قبيل ذلك عندما غادر الصالون بأنه كان بعد منتصف الليل بربع الساعة ، وكان واضحاً ان أحداً من الاشخاص الاربعة الذين كانوا في الصالون لم يغادره منذ أوت لينيت الى مخدعها . وتأكد بوارو أيضاً انـه بعد اطلاق الرصاص لم تترك جاكلين وحدها لحظة واحدة ، وهذا يخرجها من جريمة القتل .

وكان بوارو حريصاً على معرفة جميع التفاصيل ، ولا سيما طريقة إطلاق الرصـاص ثم سقوط المسدس ، والاتجـاه الذي رفسته اليه الفتـاة في ثورة أعصابها .

وبذل عناية كبيرة في معرفة المدة التي انقضت بين خروج فـانشورب وكورنيليا للمضي بجاكلين الى مخدعها ، وبين عودة فانشورب مصطحباً الدكتور بسنر للعناية بسيمون ، فثبت ان تلك المدة تصل الى عشر دقائق ، ثم ثبت ان المدة التي انقضت بين نقل سيمون الى حجرة الطبيب وعودة فانشورب للبحث عن المسدس تزيد على خمس دقائق . وفي هذه لدقائق أخذ شخص مجهول المسدس من تحت المقعد ، وكان من المستحيل ان يكون ذلك الشخص جاكلين ، لأنها كانت محقونة بالمورفين في مخدعها تحت ملاحظة الآنسة بويرز ، فمن هو ذلك الشخص ؟

ان لهذا السؤال أهميته الكبرى ، فمن المحتمـل ان يكون ذلك الشخص هو قاتل لينيت دويل ، لأن هذا الوقت يتفق مع الوقت الذي قدره الطبيب لوقوع الجريمة ، كما انه من المرجح ان ذلك الشخص شهـد بطريقة ما الذي حدث في الصالون قبل ذلك ، بحيث كان يعلم مكان المسدس ، لأن المسدس لم يكن ظاهراً ، بل تحت مقعد .. فلم يكن من الممكن أن يعثر عليه بمحض المصادفة . ولكن فانشورب أكد لم ير أحداً حول الصالون ، وان الأبواب كلها كانت مقفلة .

وبعد ذلك استجوب بوارو فانشورب عن تصرفاته بعد عجزه عن العثور

على المسدس فقرر انه توجه الى قمرته في الساعة الثانية عشرة والنصف – وهي القمرة رقم ٢٢ – في الجانب البعيـــد عن المرسى ، وهي أقرب القمرات الى الصـالون كما قرر انه لم يسمع شيئـاً وهو في قمرته ، سوى صـوت أشبه مايكون بوقوع شيء في الماء ، ولكنه لا يستطيع الجزم بذلك لأنه كان قد بدأ يستسلم للنعاس . وقـد حدد الوقت على وجه التقريب بالساعة الواحدة .

أما كورنيليا ، فقررت أنها توجهت بعد المساعدة في تضميد ساق سيمون الى قمرتها الخاصة ، رقم ٤٣ من جهة المرسى ، وهي القمرة الملاصقة لقمرة جاكلين دي بلفـور ، وقررت انها لم تسمع شيئـاً بعد أن ذهبـت الى مخدعها .

وأما الآنسة بوبرز ، فقد طابقت أقوالها أقوال كورنيليا وفانثورب ونفت ان جاكلين تفوهت في نوبتها بأي تهديد للينيت ،وأكدت لها أنها لم تفارق حجرة جاكلين طول الليل .

ولما انصرفت الممرضة .. تبادل براور والكولونيل ريس نظرات الحيرة ، فقد انتفت كل شبهة عن عدوة القتيلة اللدود جاكلين اذن فمن الذي قتل لينيت دويل ؟.

من القاتل ؟

أفاقت جاكلين من تأثير المخدر ، وتوجه بوارو الى حجرتها فوجدها قد عادت الى هستيريتها ، وقد زادت من وقع الصدمة تلك الجريمـة التي تمت على الصورة التي كانت تحلم هي بأن تقترفها ، وراحت تصيح وهي تبكي :

– أتذكر تلك الليلة في حديقة فندق كتراكت يا مسيو بوارو ؟ ألم أكن على حق حين ظننت أنه كان في الظلام بين الأشجار من يصغي الى كلامي ، وأنا أصف لك كيف اريد ان أطلق الرصاص على رأسها ؟

- لقد تذكرت هذا حقاً ، وكنت أشك في انك ما زلت تذكرينه .
- ذلك الرجل الذي كان يصغي الينا .. من هو ؟
- وهل انت واثقة انه رجل يا آنسة ؟
- لست ادري .. لقد كان هناك شخص ما .

وفي هذه اللحظة طرق الباب الدكتور بسنر ليبلغ بوارو أن سيمون على استعداد لاستقباله ، فتوجه بوارو الى هناك ، ليجد سيمون مضعضعاً من صدمته المضاعفة ، ولكنه كان مهتماً جداً بابعاد الشبهة عن جاكلين ، فأكد له بوارو ان الشبهة بعيدة عنها كل البعد . ولكنه سأله هل يشك في أحد . فلم يستطع سيمون أن يحصر الشبهة في أحد كما قرر انه لا يدري شيئاً عن ظروف زوجته المالية ووجود ضغائن لهذا السبب .

وقرر بوارو بعد ذلك استدعـــاء الخادم ، فحضرت لويز ، وقررت أنها التحقت بخدمة القتيل منـذ شهرين . وكانت هي نفس الفتـاة التي صادفها بوارو يوماً ما تتحدث مع مهندس الباخرة بحالة تبعث على الريبة . وسألها بوارو :

- متى رأيت لينيت دويل حية لآخر مرة ؟
- أمس مساء يا سيدي ، بعد أن البستها ثياب النوم . وكان ذلك بعـد الحادية عشرة .
- وكم من الوقت استغرقت عملية الباسها ثياب النوم الى ان تركتها ؟
- عشر دقائق ، فقد كانت سيـدتي متعبة وأمرتني باطفاء النور قبـل خروجي .
- وماذا فعلت بعد ان تركتها ؟
- توجهت الى غرفتي في الطابق الأسفل .
- وهل سمعت او رأيت شيئاً يساعدنا في التحقيق ؟
- وكيف يمكن ان أسمع او أرى ؟

– هذا ما عليك أن تحدديه .

– الواقع انني لم أكن قريبة من مكان الحـادث . فكيف يمكن أن أرى او أسمع ؟ وبطبيعة الحال لو انني أرقت وصعـدت السلالم ، ربما كنت أرى القاتل – ذلك المجرم المتوحش – وهو يتسلـل خارجاً من قمرة سيـدتي . ولكن . .

ومدت يديها بحركة استنجاد نحو سيمون وقالت له

– بربك يا سيدي ، ماذا استطيع ان أقول ؟

– لا تكوني حمقاء يا فتاتي ، فلا أحد يظن انك سمعت او رأيت شيئاً . ولا يتهمك أحد بشيء فاطمئني ، وسأعني بأمرك .

فشكرته على استحياء . فقال بوارو :

– اذن انت لم تري ولم تسمعي شيئاً؟

- هو ذلك يا سيدي .

– وأنت لا تعرفين أحداً يحقد على سيدتك

– بل أعرف

– أتعنين الآنسة جاكلين دي بلفور ؟

– هي طبعاً حـــاقدة عليها ، ولكن ليست هي التي أعني . . فهناك في السفينة شخص يكره سيدتي لأنها أصابته بضرر جسيم

فصاح سيمون :

– يا إلهي ! من هذا ؟

– انه الخطيب الذي كان يطمع في الزواج من الخادمة السابقـة ماري . واسمه فليتوود ، وقد اكتشفت سيدتي انه متزوج بالفعـــل في مصر وله ثلاثة أطفال ، وأطلعت ماري على ذلك السر فقطعت علاقتها به . ولما علم فليتوود أن سيدتي بين ركاب هذه الباخرة فكر في قتلها ، كما قال لي ذلك مراراً ، لأنها تسببت في تحطيم قلبه .

– وهل أخبرت سيدتك بذلك ؟

– كلا يا سيدي طبعاً .

– وهل تعرفين شيئاً عن لآلىء سيدتك ؟

فاتسعت حدقتا لويز وصاحت :

– اللآلىء ؟ انها كانت ترتديها الليلة الماضية .

– وهل رأيتها حين ذهبت الى فراشها ؟

– نعم يا سيدي .

– وأين وضعتها ؟

– على المائدة التي بجوار الفراش كالمعتاد .

– وهناك رأيتها لآخر مرة ؟

– نعم يا سيدي .

– وهل رأيتها هناك هذا الصباح ؟

فظهرت الدهشة على وجه الفتاة وقالت :

– انني لم أنظر اليها ، لأن منظر سيدتي قد الهاني عن كل شيء . فصرخت واندفعت خارجة .

– ولكنني انا هيركول بوارو لم يفتني ان أنظر ، ولم يكن فوق المائدة التي بجوار الفراش أي أثر للآلىء هذا الصباح

* * *

كلف بوارو الخادم بالبحث والتنقيب بين أشياء سيدتها ، ولكن لم يعثر للآلىء على أثر ، فقال الكولونيل لبوارو :

– عندما قال فانثورب امس انه سمع سقوط شيء في الماء ، تبادر الى ذهني ان يكون القاتل قد القى المسدس فيه

– هذا فرض أعتقد انه بعيد الاحتمال. وأفضل في الوقت الحاضر ان نبعث

في طلب فليتوود .

فاذا هو رجل ضخم الجثة شرس المنظر ، عرف فيه بوارو على الفور ذلك المهندس الذي كانت تتحدث اليه لويز خلسة ، وقد واجهه بوارو بالمعلومات التي أفضت بها الفتاة فأقر بأن الوقائع الأولى صحيحة ، ولكنه أنكر الاقدام على تلك الجريمة ، وراح العرق يتصبب على وجهه . فسأله بوارو :

– أين كنت في الليلة الماضية فيما بين نصف الليل والساعة الثانية صباحاً ؟

– في فراشي نائماً . وشريكي في القمرة يشهد بذلك .

وصرفه الكولونيل بعد ذلك ، ثم تبادل مع بوارو نظرات التساؤل ، فهز بوارو كتفيه ثم قال :

– انه رجل شرس وعصبي المزاج بالفعل ، ولكنه لا يذهب الى حد القتل. ومع ذلك فانني سأتحقق من صحة أقواله ، وإن كانت شهادة شريكه في القمرة لا تقطع بشيء ، فقد يكون ذلك الشريك غارقاً في النوم .

– يجب التحقيق على كل حال .

– وأعتقد اننا يجب ان نعني بعدئذ بالتحري ، كي نعرف هل سمع أحد الركاب شيئاً فيما بين نصف الليل والثانية صباحاً ، مما يمكن ان يهدينا الى شيء فمن الجائز ان يكون احد الركاب قد سمع الطلقة التي قضت على حياتها ، وان يكن ذلك الصوت ضعيفاً بحيث يظن انه غير خطير .

– أنا شخصياً لم أسمع شيئاً .

– وأنا نمت هذه الليلة نوماً عميقاً جداً ، فلم أسمع شيئاً .

– يجب ان نسمع اقوال آل ألرتون ، فان القمرتين قريبتان جداً من مكان الجريمة .

وحضرت السيدة ألرتون في ثوب من الحرير ، وكان الأسف بادياً على وجهها. وكان اول ما ذكرته :

– لقد سرني كثيراً ان تكون الآنسة جا كلين دي بلفور المسكينة بعيدة عن الشبهة .

– انا أفهم عواطفك جيداً .. والآن هل لك ان تذكري لنا في أي وقت أويت الى مخدعك يا سيدتي ليلة أمس ؟

– بعد العاشرة والنصف مباشرة .

– وهل استغرقت في النوم في الحال ؟

– نعم .. فقد كنت أشعر بالنعاس .

– وهل سمعت أي شيء أثناء الليل ؟

فقطبت حاجبيها قليلاً ، ثم قالت :

– نعم .. أظن انني سمعت صوت سقوط شيء في الماء ، ثم صوت انسان يجري أو ما أشبه ذلك . وربما كان صوت الجري سابقاً على صوت سقوط الشيء في الماء ، فقد كان النعاس مستولياً على مشاعري ، وخيل الي ان أحداً سقط في الماء ، فصحوت من ذلك الحلم المزعج وأصغيت مدة طويلة ولكن السكون كان شاملاً .

– أتدرين في أي ساعة كان ذلك ؟

– كلا ، أخشى ألا أستطيع التحديد . ولكن يخيل الي ان ذلك قد وقع بعد أن نمت بمدة طويلة ، ومن المحتمل ان يكون ذلك في نحو الساعة الأولى صباحاً .

– واخسارتاه .. ليتك تستطيعين التحديد .

– كلا للأسف .. ولست أرى فائدة في التخمين .

– وهل سبق لك ان قابلت لينيت دويل قبل هذه الرحلة ؟

– كلا . بل تيم ، ابني ، هو الذي التقى بها قبل ذلك ، وقد سمعت عنها الكثير من قريبتنا جوانا ساوثوود .

– سؤال اخير يا سيدتي .. هل نزلت بأسرتك متاعب مالية بسبب

مضاربات والد لينيت ؟

- أنا مدركة طبعاً ما وراء هذا السؤال ، فان والد لينيت وجدها ، كانا سبباً في إفلاس كثير من الماليين عن طريق المضاربات . ولكن الواقع ان ذلك لم يحدث لنا .

- شكراً لك يا سيدتي ، وأرجو أن تبعثي لنا بنجلك

وانصرفت السيدة ألرتون ، فوجدت ابنها في انتظارها متلهفاً على معرفة الأسئلة التي وجهت اليها ، فلخصت له تلك الأسئلة ، واندفع بعد ذلك الى غرفة التحقيق ، وأجاب على أسئلة بوارو بأنه أوى الى فراشه مبكراً في العاشرة والنصف ، وقضى بعض الوقت في القراءة ، ثم أطفأ نور قمرته في الحادية عشرة تماماً .

- وهل سمعت شيئاً ؟

- سمعت صوت رجل يلقي تحية المساء ، وكان الصوت آتياً من بعيد .

فقال الكولونيل ريسي :

- لقد كان هذا صوتي وأنا القي تحية المساء على القتيل .

- نعم .. وبعد ذلك استغرقت في النوم ، ثم سمعت ضجة أعقبها صوت امرأة تنادي فانثورب فيما أظن .

- تلك كانت الآنسة كورنيليا روبسون حين استنجدت بفانثورب بعد إصابة سيمون .

- أظن هذا .. ثم سمعت بعد ذلك جملة أصوات ، وصوت شخص يجري فوق السفينة ، ثم صوت سقوط جسم في الماء . وعلى اثر ذلك سمعت الدكتور بسنر يلقي أوامر مقتضبة من قبيل : احذر . خذ بالك . لا تسرع .

- وهل انت متأكد من ان ما سمعته كان صوت سقوط شيء في الماء ، وليس طلقة مسدس ؟

- ربما .. لقد سمعت بالفعل صوتاً كصوت خروج سدادة من فوهة زجاجة .

فرقعة خفيفة ، ربما كانت طلقة مسدس وقد تبادر الى ذهني ان الفرقعة صوت فتح زجاجة ، وان سقوط الجسم في الماء هو صوت انصباب الشراب في الكؤوس، فان الذي خطر لي ان فريقاً من الركاب يحيي حفلة ماجنة،وسخطت عليهم وتمنيت لو ذهبوا الى مضاجعهم ليناموا .

– ألم تسمع شيئاً آخر ؟

– كلا . فيما عدا تقلب فانثورب في فراشه في القمرة الملاصقة لقمرتي ، حتى حسبت انه لن ينام..

– وبعد ذلك ؟

– وبعد ذلك استغرقت في النوم ولم أسمع شيئاً .

الفصل السادس

اللغز يزداد تعقيداً

أخذ الكولونيل ريس يخطط رسماً للباخرة الكرنك ، يبين فيه مواضع القمرات ، وقال :

– فانثورب ، ثم تيم ألرتون والسيدة الرتون ، ثم قمرة فارغة لم ينم فيها صاحبها تلك الليلة وهو سيمون دويل ، فمن صاحب القمرة المجاورة من الناحية الأخرى لقمرة لينيت القتيل ؟ انها الآنسة فان شويلر الأمريكية العجوز . فاذا كان أحد قد سمع صوتاً صادراً عن قمرة القتيل تلك الليلة ، فهو هذه الآنسة العجوز ، واذا كانت قد استيقظت الآن فيحسن أن نبعث اليها ونسمع أقوالها .

وبعد قليل دخلت فان شويلر متجهمة تفيض عيناها سخطا وغضبا . فعمد بوارو الى تهدئتها حتى عرف منها انها اوت الى فراشها في الساعة العاشرة كما هي عادتها ، ولكنها لم تنم فوراً لأن كورنيليا تركتها مدة طويلة ، فظلت ساهرة في انتظارها . وفي تلك الأثناء سمعت صوت لويز وصيفة لينيت تلقي على سيدتها تحية المساء ، وبعد ذلك أغفت قليلا الى أن تنبهت على صوت حسبته داخل قمرتها ، ولكنها تحققت انه في القمرة المجاورة ، وهي قمرة لينيت وبعد ذلك سمعت صوتا في الخارج على سطح السفينة أمام

الباب ، ثم صوت سقوط جسم في الماء وقدرت الوقت عندئذ بأنه بعد الساعة الواحدة بعشر دقائق

ولكنها قررت انها لم تسمع صوت الطلق الناري ، وإن كانت لا تجزم ان الصوت الذي أيقظها كان هو الطلق الناري ، ولكنها لم تنتبه اليه لأنها كانت نائمة .

فلما سألها الكولونيل ريسي من تظن انه أسقط هذا الجسم الذي أحدث صوتاً باصطدامه بالماء ، فقالت :

– لست أظن . بل أنا أعرفه جيداً، فانني ارتبت في ذلك الصوت وقمت ففتحت باب قمرتي ، فرأيت الآنسة روزالي أوتربورن منحنية فوق السياج ، بعد أن أسقطت شيئاً كان في يدها في الماء .

– وهل أنت واثقة انها الآنسة روزالي أوتربورن ؟

– لقد رأيت وجهها بوضوح .

– وهل رأتك هي ؟

– لا أظن انها رأتني ..

وعندئذ قام بوارو الى الأمام وتولى هو سؤالها :

– وكيف بدا لك وجهها في تلك اللحظة ؟

– كانت نهباً لانفعال عنيف . ثم أدارت لي ظهرها واتجهت نحو مؤخرة السفينة ، وعدت أنا الى فراشي .

وفي هذه اللحظة دخل ربان السفينة ، فسلم الى الكولونيـــل ريسي لفافة مبتلة من الحرير القرمزي ، فراح الكولونيل يبسط طياتها الكثيرة ، حتى سقطت منها لفافة أخرى ، هي منديـــل من النوع الرخيص به آثار طلاء أحمر باهت ، وقد طوي على مســدس صغير مرصعة قبضته باللآليء ، فظهر الفرح على وجه الكولونيل ريسي ، وتناول بوارو المسدس في يــده بعناية ، ثم قال :

– نعم انه هو المسدس الذي رأيته في حديقة كتراكت . وهذا هما حرفا ج ك ، والعيار ٢٢ . وقد أطلقت منه رصاصتان .

وعندئذ تنحنحت فان شويلر ، ثم قالت :

– وشالي ؟.. أن الذي بيدك هو شالي الحريري . وقد بحثت عنه أمس طويلا ، فلم أعثر عليه ، وسألت عنه كل انسان دون جدوى .

– شالك ؟.. ومتى كان آخر عهدك به ؟

– مساء أمس في الصالون.. فلما هممت بالتوجه إلى مخدعي لم أجده. ولست أدري لماذا وكيف استخدم هذا الاستخدام القبيح .

وفحص الكولونيل الشال الثمين فاتضح انه استخدم لكتم صوت المسدس، بأن أطلقت الرصاصة من خلال طياته .

* * *

وانتهت أقوال الآنسة فان شويلر ، بعد أن قررت وأكدت انها لم تتعرف الى القتيل او أسرتها قبل هذه الرحلة ، فلما انفرد الكولونيل بالمسيو بوارو ، استغرق الأخير في التفكير لحظة ثم ضرب المنضدة بقبضته وقال :

– المسألة الآن أشد تعقيداً .. فهناك شخص كان يضمر نية قتل لينيت ، وهذا الشخص شاهد مشاجرة جاكلين وسيمون في الصالون ، ورأى سقوط المسدس من يدها واستقراره بركلة من قدمها تحت مقعد . وهذا الشخص حصل بعد ذلك على هذا المسدس ، وقتل به لينيت ثم كتب حرف الجيم فوق الحائط حتى يضلل المحقق ، ثم نرى عجباً : فهذا القاتل الذي يدبر كل شيء كي تشير القرائن الى انحصـــار الشبهة في جاكلين دي بلفور ، لا يترك مسدسها الذي اقترف به الجريمة كي نعثر عليه فتزداد الشبهة قوة ، بل هو يلقيه في قاع النهر . وذلك تخبط وتناقض غير مفهومين .. فهناك ولا شك حلقة ناقصة او خطأ في التسلسل

– ربما . وأظن انه من المناسب الآن ان نسمع اقوال روزالي أوتربورن .

– نعم نعم .. فقد يوضح لنا ذلك بعض ما يكتنفنا من الغموض .

وبعد قليل كانت الفتاة تقرر انها أوت مع والدتها الى فراشها قبل الساعة الحادية عشرة ، وانهما لم تسمعا شيئاً غير عادي فيما عدا بعض الضجة من جهة قمرة الدكتور بسنر ، ولكنهما لم تعرفا سببها قبل الصباح . وسألها كل من الكولونيل ريسي ومسيو بوارو :

– أولم تسمعا طلقاً نارياً ؟

– كلا .

– ألم تغادري قمرتك ليلة أمس ؟

– كلا ..

– أواثقة أنت من ذلك ؟

– ماذا تعني ؟ . كل الثقة طبعاً .

– ألم تتجولي حول مؤخر السفينة من الجهة المقابلة للمرسى وتقذفي الى الماء بشيء كان في يدك ؟

فاحتقن وجهها وقالت :

– هل يحظر القانون القاء أشياء في الماء ؟

– كلا طبعاً .. فهل فعلت ؟

– كلا .. لقد قلت لك انني لم أغادر قمرتي .

– وإذا شهد أحد انه رآك ، العانس فان شويلر مثلاً ؟

– هل قررت ذلك فان شويلر ؟

– نعم . لقد رأتك أمام باب قمرتها تلقين شيئاً في الماء ، وكان ذلك بعد الساعة الواحدة بعشر دقائق .

– وهل رأت شيئاً عدا ذلك ؟.. ماذا كان بيدي ؟

– لم تر شيئاً ، ولكنها سمعت سقوط الشيء في الماء ، فهل ما زلت مصرة

على الانكار ؟

– ولماذا يحق السماء القي شيئاً في الماء في جوف الليل ؟

– ربما كان هناك سبب، أعني سبباً بريئاً ، وان كان قد ثبت لنا الآن ان شخصاً قد القي في الماء امس ليلاً شيئاً غير بريء . انظري !

ووضع أمام عينيها المسدس ، فاضطربت ، وقالت :

– وهل تظن بأنني أنا القاتلة ؟ هذا مضحك وسخيف ، فأني لم أكن أعرفها حق المعرفة السطحية .

– ولكن تذكري ان فان شويلر مستعدة لحلف اليمين على انها رأت وجهك بوضوح في ضوء القمر .

– انها عجوز حمقاء ضعيفة البصر ، فلم تكن أنا التي رأتها .

وأصرت على تلك الأقوال ، ثم انصرفت . وتلتها بعد ذلك والدتها فلم تدل بأقوال تفيد التحقيق ، ولكنها راحت تثرثر بتخمينات عن أسباب الجريمة وأنها تتصل كلها بالاضطرابات الجنسية ، شأن تفكيرها في جميع رواياتها .

ولما تمكن بوارو من صرفها بسلام ، دعي السنيور ريتشي ، وكان منزعجاً لما حدث .. فقرر انه أوى الى فراشه مبكراً جداً ، بعد العشاء مباشرة ، فقضى بعض الوقت في قراءة كتاب ظهر حديثاً عن الآثار الخزفية في الاناضول ، ثم أطفأ النور قبل الحادية عشرة ، ولم يسمع صوت طلق ناري ، ولا صوتاً يشبه فتح زجاجة مستعصية . ولكنه سمع في جوف الليل صوت سقوط جسم ثقيل في الماء بالقرب من قمرته المطلة على الماء . وقمرته في الطابق السفلي من جهة مؤخر السفينة ، في الجانب المقابل للمرسي ، وقد قدر الوقت بأنه بعد مرور ساعتين او ثلاث على نعاسه ، وربما كان ذلك بعد الساعة الواحدة بقليل

وانتهت أقوال ريتشي ، فتبعه على الأثر فيرجيستون ، وكان على عادته وقحاً متباهياً بالوقاحة ، فقد قال حينما علم بمقتل لينيت وسئل عن معلوماته

عن الحادث :

– في داهية .. فان العالم يشكو التخمة من التهافات الطفيليات ومن مثيلاتها الرأسماليات المغرورات . وقد كنت ليلة أمس في صحبة الانسة كورنيليا روبسون عندما زرنا المعبد .. فلما عدنا الى السفينة ، فارقتها وتجولت وحدي برهة الى ان عدت حول نصف الليل ، فأويت الى قمرتي وهي في الطابق السفلي الى الجهة المقابلة للمرسي ، لأنني لا أسكن الطابق العلوي مع النبلاء المتعفنين .

– ألم تسمع طلقاً نارياً او صوتاً أشبه بخروج سدادة مستعصية من زجاجة شراب .

– أظن انني سمعت صوتاً كالذي تصفه ، ولكن لا أذكر متى بالضبط .. فقد كان عدد من الركاب لا يزالون يقظين ، وسمعت جلبة وصوت جري في الطابق الذي يعلوني .

– ربما كان ذلك صوت الطلق الذي أصاب ساق سيمون دويل ، ولكن ألم تسمع صوتاً آخر يشبهه ؟ ولا صوت سقوط شيء في الماء ؟

– صوت سقوط شيء في الماء ؟ أظن انني سمعت صوتاً من هذا القبيل ، ولكن كانت هناك ضوضاء كثيرة ، ولهذا لست متأكداً .

وهل غادرت قمرتك أثناء الليل ؟

– كلا ... ولهذا لم اشترك للاسف في تلك العملية الموفقة !

وانصرف فيرجيسون بعد ذلك ، فنظر بوارو الى الكولونيل وقال :

ألا تظن انه الرجل الذي تنشده ؟

– استبعد هذا .. فالطراز الخطر من المتآمرين لا يبوحون بارائهم وعواطفهم . ولكنني واثق من ان ضالتي فوق سطح السفينة ، فقد كانت التعليمات والمعلومات قاطعة ومحددة . والآن حل دور بننجتون وكيل لينيت ووصيها فلنسمع ما لديه .

ودخل اندور بننجتون ، وقد بدت على وجهــه مظاهر الألم والحزن المفروضة في وصي كان بمنزلة الوالد ، ولكــن المظاهر لم تنطل على فراسة هيركول بوارو وقد قرر انه لم يسمع شيئاً فان قمرته هي التاليــة لقمرة الدكتور بسنر، فكل ما سمعه أثناء نومه هو ضجة حول تلك القمرة، مصحوبة بعبارات غامضة عرف فيها صوت جاره الطبيب ، ولكنه ليس متأكداً من الوقت بالضبط .

ألم تسمع صوت طلقات مسدس ؟

– لم اسمع شيئاً من هذا القبيل على الاطلاق .

– ومتى أويت الى مخدعك ؟

– بعد الساعة الحادية عشرة بقليل .

– لقد كنت صديقاً حميماً للقتيل ، وأنت أعرف الناس في الغالب بظروف حياتها ، ولا شك انك ادرى بها من زوجها لأنه لم يتعرف اليها إلا منــذ أشهر قليلة ، فهل تعرف أحداً يكن لها حقداً خاصاً بحيث يدفعه ذلك الى الرغبة في قتلها ؟

فبلل شفتيه الجافتين بطرف لسانه ، ثم قال :

– أؤكد لك انه ليست لدي أي فكرة مطلقاً عن شيء من ذلك القبيل . وقد نشأت لينيت في اوروبا ، فلا أعرف شيئاً عن ظروفها الشخصية . وأما الظروف المالية فهي التي تحت يدي .

– ومع ذلك يا مستر بننجتون فان بين ركاب هذه السفينة اشخاصــاً او شخصاً واحداً على الأقل يضمر لها السوء . وأنت تذكر ولا شك حــادث الصخرة التي كادت تفتك بها على الشاطىء عينه ونحن في رحلة الذهاب .. ولم تنج إلا بأعجوبة .

– انني لم أر ذلك الحادث لأنني كنت داخل المعبد . ولكني سمعت عنــه بعد ذلك وظننت انها مصادفة .

– أما وقد حدث ما حدث ، فالأمر أكثر من مصادفة .

فتصبب جبينه عرقاً ، مسحه بمنديله الحريري وقال :

– هو ذلك فعلا .

وبذلك انتهت أقواله الى غير نتيجة .. فلما انصرف أشعل الكولونيـــل سيجارة ، وقال بلهجة ذات مغزى :

– أرى ياعزيزي بوارو ان المستر بننجتون لم يكن عادياً أثناء الاستجواب.

- أجل . ولكن هناك أكثر من هذا ، لقد ذهب به الحرج والاضطراب الى حد التورط في كذبة فاضحة لقد زعم انه كان في المعبد عندما وقـع حادث الصخرة ، وهذا كذب صريح فقد كنت أنا الذي اكلمك الان موجوداً واستطيع ان اؤكد لك انه لم يكن في تلك اللحظة داخل المعبد ، لانني كنت خارجاً من المعبد في الوقت نفسه .

– يا لها من اكذوبة كبيرة .

وفي تلك اللحظة ، اهتزت الارض تحت قدميها .. فقـد كان الكولونيل قد أصدر أمره بعـــد العثور على المسدس في جوف النهر ، ان تقلع السفينة الكرنك عائدة الى اسوان . وعندئذ قال بوار :

– والان حان ان ننظر في مسألة اللآلىء المختفيـة . ولما كان الغداء سيبدأ بعد نصف ساعة ، فانني أرى ان أعلن قرب نهايته ان مجوهرات القتيل قـــد سرقت ، ثم أطلب من الجميس عدم مغادرة القاعة الى ان تنتهي عملية تفتيش القمرات ، ويجري في نفس الوقت تفتيش الركاب .

- فكرة صائبة ، فان الذي سرق الجواهر لا يزال محتفظـاً بها وعدم انذار السارق من قبل ، يحول دون القائه المسروقات في جوف النيل .

– والان أحب ان نسجل ترتيب الحوادث قبل الاستمرار في البحث

– لقد أعددت يا عزيزي بوارو مذكرة بالموقف ارجو ان تلقي عليهانظرة.

المذكرة

تناول بوارو المذكرة فوجدها على النحو التالي :

كانت الخادم لويز بورجيه آخر من رأى القتيل حية في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء .

* فيما بين الحادية عشرة والنصف والثانية عشرة والنصف ، كان كل من كورنيليا روبسون ، وجيمس فانثورب ،وسيمون دويل ، وجاكلين دي بلفور ، مجتمعين معاً . فهم دون غيرهم يملكون اثباتات تبعدهم عن الشبهة في تلك المدة .

* ولكن الجريمة حدثت في الغالب بعد ذلك الوقت لأنه من الثابت انها اقترفت بمسدس جاكلين بعد ان اعتدت به على سيمون .

* من المرجح ان القاتل شهد بعينه المشادة التي انتهت باطلاق الرصاص على سيمون في صالون المراقبة وعندما أخلي الصالون بعد ذلك ، حصل ذلك المجهول على مسدس جاكلين من تحت المقعد ، لأن خطته مبنية على القاء الشبهة على جاكلين بما انها غريمة لينيت التي طالما هددت بقتلها .

* بناء على ما تقدم ، تبعد الشبهة عن كورنيليا روبسون لأنه لم تسنح لها الفرصة للاستيلاء على المسدس قبل عودة فانثورب للبحث عنه . . فقد كانت مشغولة بمعاونة الطبيب في تضميد الجرح

* نفس الظروف تنطبق على الآنسة بويرز الممرضة .

* وتنطبق أيضاً على الدكتور بسنر .

* ويجب ملاحظة ان فانثورب ليس بعيداً عن الشبهة بشكل قاطع لأنه يحتمل ان يكون قد عثر على المسدس ووضعه في جيبه وزعم انه لم يجده .

* ويجب ايضاً افتراض ان اي شخص آخر كان يمكنه ان يعثر على المسدس في مدة الدقائق العشر التي كان الصالون فيه خالياً .

دوافع محتملة للجريمة

* ربما كان اندرو بننجتون – الوصي الامريكي – قد عبث بامانة التركة المعهودة اليه .. ويؤيد هذا الفرض محاولته الحصول على توقيعهـا ، فضلاً عن شبهات أخرى ، ولكنها غير كافية . ولو انه ثبت انه مرتكب حادثة الصخرة ، لثبت أيضاً انه من ذلك الطراز الذي لا يتورع عن اغتنام الفرصة العارضة دون تدبير سابق ، ولا شك ان اطلاق جاكلين الرصاص على سيمون كان فرصة عارضة لم يدبرها أحد .

* يضعف الافتراض السابق ان المسدس القي في النيل فلو انه هو الفاعل ، فلماذا يلقي أداة الجريمة التي اختارها لالقـاء الشبهة على جاكلين ، ولم يترك المسدس كي نعثر عليه ؟

* وهناك أيضاً مهندس الباخرة فليتورد ، ودافعه الانتقام . فهو شخص شرس ولعله شهد من الجدران الزجاجية جانباً من المشادة التي انتهت باطلاق الرصاص على سيمون ، وربما يكون قد استعمل مسدس جاكلين لانه السلاح الوحيد الذي وجده تحت يده ، لانه ربما كان لا يملك مسدساً ولما لم تكن نيته منصرفة الى حصر الشبهة في جاكلين صاحبة المسدس ، فقد ألقاه بعد ذلك في النيل ، وهذا فرض يفسر نقطة القاء المسدس .

* ولكن يضعف هذه النظرية انه اذا لم يكن قصده القـــاء الشبهة على جاكلين ، فلماذا حرص على الكتابة حرف الجيم بالدم على الجدران ؟

* ويجب ملاحظة ان المنديل الرخيص الذي كان المسدس ملفوفاً به ربما كان يخص فليتوود ، فهو أشبه به من بين سائر الركاب .

* واذا أخذنا بشهادة فان شويلر ، نجد ان هناك شبهة تحوم حول روزالي اوتربورن ، ولكن هل نصدق العجوز ام نصدق روزالي ؟ ان هناك شيئاً قد ألقي تلك الليلة في النيل فعلاً ، وقد انتشل المسدس من قاع النيل ملفوفاً في شال العانس فان شويلر بالذات .

* يجب البحث عما اذا كان هنـاك دافع لدى روزالي اوتربورن يمكن ان يدفعها الى قتل لينيت . ربما كانت تحسدها ، ولكن ذلك لا يكفي سببـــاً مباشراً للقتل . وليس هناك ما يدل على معرفة سابقة بينهما .

* قررت فان شويلر ان شالها الذي عثر عليه ملفوفاً حول المسدس قد ضاع منها تلك الليلة ، وكان آخر عهدها به في صالون المراقبة ، وقد لفتت الانظار الى ضياعه لفتـاً ظاهراً في ذلك المساء بسؤال جميع الناس فكيف حصل القاتل المجهول على ذلك الشال ؟ ولماذا حصل عليه في اول السهرة ، ولم يكن هناك ما يمكن ان ينبيء بحدوث ما حدث بين جا كلين وسيمون ؟ واذا كان القـاتل المجهول قد وجد الشال وهو يستولي على المسدس من تحت المقعد ، فمعنى ذلك ان الشال كان في الصالون ، مع انه من الثابت ان الجميع قد فتشوا عنه هناك بعناية .

* واذا كان الشال لم يفقد من الآنسة شويلر بل كان في حوزتها طول الوقت ، فادعاؤهـا فقدانه يلقي عليها شبهة انهـا هي التي قتلت لينيت ، وفي هذه الحالة تكون شهادتها ضد روزالي اوتربورن اكذوبة مقصودة . فهل هو حقد عانس عجوز على الشابات دفعها الى قتل شابة والقاء الشبهة على شابة أخرى ؟

* من المحتمل أن تكون السرقة هي هدف الجريمة ، ما دا مت اللآليء قد اختفت ، وما دام من الثابت ان لينيت كانت تتزين بها في تلك الليلة .

* غير مستبعد أن يكون هناك ثأر قديم - لأسباب ماليــة في الغالب — بين اسرة القتيل وطرف آخر

* لدينا معلومات موثوق بها عن وجود ذلك المتآمر الدولي المشهور ، وهو قاتل محترف مطلوب القبض عليه من السلطات المختصة لارتكابه ست حوادث قتــل . فهل يمكن أن تكون له صلة بهذه الجريمة ؟ يجب ان نعرف أولاً اذا كانت لدى لينيت قبل مصرعها معلومــات خطيرة تتهدد سلامة ذلك

الشخص . وفي هذه الحالة يكون معقولاً ان يقـــدم على التخلص منها لتأمين حياته .

* وعلى ذلك يمكن تقسيم ركاب الباخرة الى فريقين الفريق الأول منهما هو الذي أمكن افتراض شبهات حول افراده ، أما الفريق الثاني فافراده حتى الآن بعيدون عن الشبهة

فريق المشتبه في امرهم : اندرو بننجتون ، فليتوود ، روزالي اوتربورن ، الآنسة فان شويلر ، لويز بورجيه (بقصد السرقة) - فيرجيسون (بدافع سياسي) .

فريق البعيدين عن الشبهة : مسز الرتون ، تيم الرتون ، كورنيليا روبسون ، الانسة بويرز ، الدكتور بسنر ، سنيور ريشتي ، مسز اوتربورن ، جيمس فانثورب .

* * *

فلما فرغ بوارو من قراءة تلك المذكرة قال للكولونيل :

- لقد كنت مثالاً للدقة فيما سجلت .

- أموافق أنت على هذه الملاحظات ؟

- نعم ، ولكن السؤال الرئيسي الذي أعتقد انه مفتاح القضية هو : لماذا ألقي المسدس في النيل ؟ فلو اننا عرفنا الجواب الصحيح على هذا السؤال لتبدد كل غموض يحيط بالجريمة

ثم تناول بوارو الشال القرمزي وراح يقلبه بين يديه ، ثم فحص الخروق الناجمة عن انطلاق الرصاص وما يحيطها من حروق ، ثم قال للكولونيل ريس

- انك يا عزيزي الكولونيل أدرى مني بكل ما يتعلق بالاسلحة النارية . هل تعتقد أن لف المسدس الصغير في هذا الشال واطلاق النار من داخله يكتم صوت الطلقة كل الكتمان ؟

كلا ..

– وهل تعتقد ان الرجل الذي تعود استعمال الاسلحة النارية يمكن أن يجهل هذه الحقيقة ؟

– انه يعرفها ولا شك .

– أما المرأة التي لم تتعود ذلك فمن المحتمل أن تجهل هذه الحقيقة ، وتظن ان الشال سيكتم الصوت . ثم ان هذا المسدس الدقيق الحجم لا يحدث صوتاً كبيراً ، فاذا أطلق في الوقت الذي تكون هناك فيه أصوات أخرى ، لم ينتبه الى انطلاقه أحد في الغالب .

– من الجائز جداً أن يكون الأمر كذلك .

ثم تناول بوارو المنديل الذي به آثار الطلاء الأحمر الباهت ، وراح يقلبه بين يديه قائلاً :

– ولكن ليس هذا منديل امرأة ، بل منديل رجل .. وهو بغير شك ليس رجلاً راقياً . انه أشبه بمناديل الخدم فهو لا يساوي اكثر من قرش أو قرشين . من النوع الذي يستخدمه رجل مثل فليتوود ، أما بننجتون فيستخدم مناديل حريرية فاخرة ، فقد رأيته يخرج احداها لتجفيف عرقه المتصبب .

– فيرجيسون إذن ؟.

– ربما .. وربما أيضاً القاتل قد تعمد استعمال هذا النوع بمثابة قفاز حتى لا تترك بصمات يده أثراً .

الفصل السابع

مفاجـــأة

وفي اللحظة دخل احد الخدم ليخبر بوارو ان سيمون دويل يطلب مقابلته فأسرع اليه حيث كان لا يزال راقـــداً في قمرة الدكتور بسنر . وكان وجهه محتقنا بتأثير الحمى ، وقد جلس معتمداً الى رومة من الوسائد ، وارتسمت على وجهه امارات الحيرة والارتباك وقد شكر بوارو على تفضله بالحضور ثم قال:

– هناك مسألة أحب ان أتحدث اليك بشأنها .

– وما هي ؟

– انها .. بخصوص جاكلين فانني باختصار أريد ان أراها . فهل لديك مانع ؟ وهل تعتقد انها تمانع في الحضور اذا طلبت اليهـا ذلك ؟ فقد قضيت هذه المدة راقداً أفكر في الصدمة التي وقعت لهذه المسكينة ، فهي « طفلة » وحيدة .. ليس لها سند اي معين كما تعلم .. والحقيقة انني أسأت اليها كثيراً حتى حطمت أعصابها وأفقدتها التوازن .

وسكت سيمون لا يدري ماذا يقول وقد زادت وطأة ارتباكه ، فحدق بوارو في وجهه ملياً ثم قال :

– أتريد ان ترى الآنسة جاكلين ! وهو كذلك . سأحضرها اليك

– انه لكرم عظيم منك ..

وذهب بوارو يبحث عن جاكلين دي بلفور ، فوجدها جالسة وحدها في احد أركان صالون المراقبة ، وفوق ركبتيها كتاب مفتوح ، ولكنها لم تكن تنظر فيه ، فقال لها بوارو :

– ان المسيو سيمون دويل يريد ان يراك .. فهل تأتين معي اليه ؟

وكان صوت بوارو رقيقاً جداً فياضاً بالحنان، فالتمعت عيناها واحمر وجهها ثم اصفر ، وظهرت عليها الحيرة وهي تقول :

– سيمون يريد أن يراني أنا !

– نعم .. فهل تأتين معي ؟

– طبعاً . طبعاً .. بكل تأكيد ..

ومضت معه في إذعان الاطفال ، ولكن ايضاً في ارتباكهم وحيرتهم . فلما وصلا دخل بوارو أولا وأعلن قدومها ، فدخلت ووقفت في مكانها كالمترنحة ، وقد تسمرت عيناها في وجه سيمون ، وكان سيمون لا يقل عنها ارتباكاً ، ولكنه عثر على لسانه قبلها ، فقال متلعثماً :

– مرحباً بك يا جاكلين . انه لكرم منك ان تأتي ، فانني أريد ان أقول . ان ما أقصده ..

وعندئذ أخرجته من ارتباكه ، وقد أخذت الكلمات تتدفق من فمها وهي تلهث :

– سيمون ! انني لم أقتل لينيت . انت تعرف انني لم أقتلها . لقد كنت كالمجنونة أمس . آه . هل تغفر لي ؟

– طبعاً .. طبعاً . انت معذورة . كل ما هنالك انك أفرطت في الشراب بعض الشيء

– ماذا تقول ؟.. كان من الممكن ان تصيبك هذه الرصاصة في مقتل .

– ما هذا الهراء؟ . لا تقولي ذلك .

– ولكن ساقك ؟ ربما تضاعفت اصابتها في المستقبل !.

– كفى هراء يا جاكلين ! فعند وصولنا الى أسوان سيجرون عليها كشفاً بالاشعة ، ويتولى اخصائي عملية التجبير بعد ان يخرج الرصاصة ، وسرعان ما تلتئم وتشفى .

وترنحت جاكلين قليلاً ، ثم اندفعت نحوه وركعت الى جوار الفراش ودفنت وجهها في صدره وأخذت تنتحب . فجعل سيمون يربت عليها ،والتقت عيناه بعيني بوارو ، فتنهد بوارو وتسلل خارجاً وهو يسمع الهمسات المتقطعة :

– آه يا سيمون يا حبيبي ! كيف أمكن ان أفعل هذا بك ؟

ووجد بوارو الانسة كورنيليا منحنية فوق السياج امام الباب ، فالتفتت نحوه قائلة :

– ما أعجب المفارقات ! تصور ان تكون بهذه الحالة في يوم بديع كهذا اليوم ؟ انظر الى السماء ، والى الشمس !

فتطلع بوارو الى الشمس ، ثم قال لها كمن ينشد اغنية محفوظة : « عندما تبزغ الشمس لا يستطيع الانسان ان يرى القمر ، ولكن عندما تغيب الشمس يبصر الانسان القمر » !

– ماذا تقول ؟ . هذا طبعاً شيء بديهي معروف !

– وأنا رجل عجوز أحمق يهذي بالبديهيات .

واستأنف سيره ، فطرقت سمعه أصوات متقطعة من القمرة المجاورة ، وهي قمرة آل اوتربورن :

– يا لك من ناكرة للجميل .. أبعد كل ما فعلت من أجلك ؟ ألا تدركين مبلغ عذابي ؟ ألا تراعين مزاج أمك ؟

فزم عندئذ بوارو شفتيه وطرق الباب، فاذا صوت السيدة اوتربورن يسأل من الطارق ؟ فقال :

– هل الانسة روزالي موجودة ؟

فبرزت اليه روزالي،ولاحظ تحت عينيها حلقات سوداء وتقرحاً في اجفانها،

وبادرته بالسؤال في جفوة عما يريد .

— حبذا لو تكرمت يا آنسة ببضع دقائق من الحديث على انفراد

فظهر عليها التجهم والتردد ، ولكنه كرر التوسل فمشت معه الى سطح السفينة ، متجهين الى مؤخرتها ، لأن المكان هناك كان خالياً ، ووقف بوارو وظهره الى السياج . اما روزالي فوقفت امامه منتصبة القامة كما يقف الجنود وقفة الانتباه ، وشرع يتكلم ببطء وهدوء وهو ينتقي الكلمات انتقاء :

— لقد تعودت يا آنسة ان تحملي عبء همومك وحدك . ولكن ذلك العبء قد طال بك احتماله حتى ارهقك ، وبدأت تظهر عليك بوادر التعب والاعياء.

— لست ادري عما تتكلم .

— انني اتكلم بلسان الواقع يا آنسة ، والواقع احياناً كريه لا نحب أن نواجهه . ولكني رجل أحب ان أسمي الاشياء بأسمائها ، وقد تبينت من خبرتي الطويلة ان ذلك أهون على النفس . ان والدتك باختصار تدمن الشراب !

فسكتت روزالي ولم تجب ، وفغرت فمها ثم أغلقته ثانية وهي لا تدري ماذا تقول ، فاستطرد بوار عندئذ قائلاً :

— لا حاجة بك الى الكلام يا انسة ، فسأقول أنا عنك ذلك وقد اهتممت منذ كنا في أسوان بدراسة العلاقة بينك وبين والدتك ، وأدركت انك تكنين نحوها عاطفة قوية صادقة . ثم قابلت والدتك بعد ذلك ذات صباح باكر ، وكانت في حالة سكر واضح ، ثم لما جلست معكما الى المائدة رأيتها تكرر على مسمعي انها لا تذوق الخمور فأدركت انك انت التي تمنعيها من ذلك ،وانها تشرب في حجرتها سراً وخلسة. واستطيع ان اؤكد لك انه قد حدث في الليلة الماضية أثناء استغراق والدتك في النوم أن عثرت انت في حجرتها على مخبأ للخمر السري ، فحملت صندوق زجاجات الخمر والقيت به في النيل . اليس هذا هو ما حدث يا انسة ؟

— نعم هذا ما حدث .. وكان خطأ مني ألا أصارحك بالحقيقة بعد أن

شهدت الانسة فان شويلر انها رأتني .. ولكنني يا مسيو بوارو شديدة الخجل من سلوك والدتي ، وان كنت اعذرها وأشفق عليها .

– هدئي من روعك . فالسر عندي مصون .

– لا شك عندي في هذا يا مسيو بوارو ، ولكن أرجو منك ان تغفر لي خشونتي .

– لا حرج عليك . والآن خبريني هل كان القاؤك صندوق زجاجات الخمر بعد الساعة الواحدة بعشر دقائق ؟

– ربما فقد كان الوقت نحو ذلك فعلاً .

– وهل رأيت الانسان فان شويلر كما رأتك ؟

– كلا .

– وهل لم تر أحداً اخر حينما كنت واقفة فوق سطح السفينة ؟..

فسكتت لحظة وقد قطبت حاجبيها كمن يفكر تفكيراً عميقاً ، ثم هزت رأسها ونفت ذلك بلهجة قاطعة .

فهز بوارو رأسه ، ولكن عينيه كانتا تلمعان ببريق خاص .

مشكلة جديدة

أقبل الناس على قاعة الطعام جماعات وأفراداً ، ولكن في تراخ ؛ كأنهم يشعرون أن في الاقبال على الطعام بعد تلك الجريمة التي ذهبت ضحيتها لينيت دويل بواسطة ذلك العقد - شيئاً غير مستحب . وقد دخل تيم الرثون القاعة بعد ان أخذت امه مكانها ، وكان بادي الوجوم والسخط ، حتى لقد بدأ الحديث بقوله :

– ليتني لم اشترك في تلك الرحلة المنكودة !

فهزت امه رأسها في حزن موافقة ، فاستطرد قائلاً :

– وقد جد في الأمر جديد ، فقد اتضح فقدان اللآلىء ايضاً !.
– لآلىء لينيت ؟
– نعم .. يبدو ان بعضها استولى عليها .
– ربما كان هذا هو الدافع الى الجريمة
– ومن يدريك ؟ انك تخلطين يا أماه بين مسألتين منفصلتين تمام الانفصال
– ومن الذي انبأك ان اللآلىء سرقت ؟
– فيرجيسون .. وقد علم ذلك عن طريق صديقه مهندس الآلات المدعو فيلتوود ، وفيلتوود علم بذلك من الخادمة .
– لقد كانت لآلىء فاخرة .

وفي هذه اللحظة دخل القاعة المسيو بوارو ، فجلس الى جانب السيدة الرتون كعادته بعد ان حياها باحناء رأسه في ظرفه المعهود مع السيدات ، ثم اعتذر عن تأخيره بسبب انشغاله ، وطلب زجاجة من النبيذ بدل زجاجته التي كان الخادم قد وضعها وفيها بقية من اليوم السابق وقد علقت السيدة الرتون على ذلك بقولها :

– اننا كاثوليكيون بمعنى الكلمة .. أما انت فلا تقلع عن احتساء النبيذ مع كل وجبة ، في حين يصر ابني على قدح من الويسكي بالصودا . أما انا فتكفيني كأس من المياه المعدنية .

فحملق بوارو في وجهها قليلاً وقد لمعت عيناه ، ثم هز كتفيه كأنه يصرف عن ذهنه خاطراً طرأ عليه ، ثم شرع يتحدث في موضوعات خفيفة مما يتلهى به الناس وهم جلوس الى مائدة الطعام وبعد طبق او طبقين سأل بوارو تيم الرتون :

– خبرني ، هل تشبه الآنسة جوانا ساوثود صديقتك ابنة خالتها المرحومة لينيت دويل .
– لا شبه بينهما مطلقاً .. فان جوانا صديقة لينيت وابنة خالتي أنا ، لا

العكس كما فهمت .

– لقد اختلط علي الأمر ، فان خالتك شخصية معروفة يرد اسمها كثيراً في أخبار المجتمعات الراقية ، وقد استحوذت على اهتمامي منذ وقت غير قصير .

فسأله تيم الربون بشيء من الحدة :

– لماذا ؟..

ونهض بوارو نصف نهوض لينحني باحترام لجاكلين دي بلفور التي مرت بمائدتهم في هذه اللحظة في طريقها الى مائدتها . وكانت وجنتاها متوهجتين ، وعيناها لامعتين ، وأنفاسها لاهثة في غير انتظام . ولما استقر في مجلسه بعد لحظة ، كان يبدو عليه انه نسي سؤال تيم الرتون ، وراح يهمس كالمتحير :

– هل كل من لديها جواهر ثمينة تهمل شأنها كما كانت تفعل لينيت دويل ؟

وعندئذ وجدت السيدة الرتون الفرصة سانحة فسألته :

– أصحيح إذن ان جواهرها سرقت ؟

– ومن انبأك يا سيدتي ؟

فتولى تين الجواب عنها ، فقال : ان فيرجيسون هو الذي أنبأها ،وعندئذ أمن بوارو على صدق الرواية ، وعقبت السيدة الرتون على ذلك قائلة في عصبية ظاهرة :

– أعتقد انه ستترتب على ذلك نتائج سيئة ومضايقات تعمنا جميعاً ، كما تنبأ تيم .

– لعلك يا مسيو تيم قد سبقت لك تجربة ؟.. هل سبق ان كنت مدعواً في بيت عندما حدثت به سرقة جواهر ؟

– كلا لم يسبق لي ذلك .

فقالت امه عندئذ بدهشة :

– بل كنت يا عزيزي في قصر آل بورتر لينجتون عندما سرقت ماسات سيدة القصر .

– أنت دائماً يا أماه تخلطين بين الاشياء خلطاً لا نظير له بل كنت هنـاك يا أماه حينما اتضح ان الماساة التي كانت تحيط بمنقها ماسات مزيفة . أما عملية ابدال الماسات الصحيحة بالمزيفة ، فربما كانت تمت قبل تلك الليلة بشهـور طويلة . بل الواقع ان عدداً كبيراً من الحاضرين اعتقدوا انها هي نفسها الـتي قامت بذلك الابدال لتسرق زوجها !

– لعل جوانا هي صاحبة هذا الرأي يا بني !

– ان جوانا لم تكن هناك

– ولكنها تعرف هذه المجموعة جيداً .. وأنا اعرفها ، وأعرف انهـا تظن مثل هذه الظنون الخبيثة .

– الواقع يا اماه انني لا ادري سبباً لتحاملك الدائم على جوانا .

وأسرع بوارو عندئـذ في تغيير موضوع الحديث ، فتكـلم عن أثواب من الحرير القرمزي رآها في بعض الحوانيت في اسوان قبـل ركوب الكرنـك ، وكيف انه حينما تعود الباخرة الى اسوان يريد ان يشتريها ، ويكلف المحل بارسالها باسمه الى لندن عن طريق البريد ، وعقب على ذلك بقوله

– وقد قيل لي انهم يستطيعون تصديرها نظير رسوم غير باهظـة ، فهل تعتقدان أن البضاعة ستصل سالمة الى لندن .

فقالت السيدة الرتون انها سمعت من كثيرين انهم سبق أن ارسلوا الى لندن عن طريق هذه المحلات مباشرة اشياء كثيرة ، وانها وصلتهم كاملة سالمة .

– عظيم . إذن سألجأ الى هذه الطريقة . والواقع ان ما يزعج الانسان ويتعبـه حقاً حين يكون في الخارج هو وصول طرود مصدرة اليـه من انجلترا فهل سبقت لكم تجربة في هذا الباب ألم تصلكم من انجلترا طرود منذ غادرتموها ؟

فقالت السيدة الرتون :

– لا أظن .. هل وصلنا شيء من ذلك يا تيم ؟ انك تحصل على كتب من

انجلترا في بعض الأحيان ولكن الكتب تختلف تماماً عن غيرها

فقال بوارو :

– طبعاً يا سيدتي . الكتب لها حالة خاصة ، فان الطرد يكون مفتوحاً من أعلى وأسفل ، ولا تكون هناك حاجة للفتح والتفتيش لاقتضاء الرسوم كما يحدث هذا في الطرود العادية

* * *

وفي هذه الساعة قدمت الحلوى في ختام الطعام ونهض الكولونيل ريسي فشرح ظروف الجريمة باقتضاب ، وأزاح الستار عن سرقة اللالىء . وأعلن بعد ذلك ان السفينة يجب أن تفتش، على أن يبقى الركاب في القاعة إلى أن تتم عملية التفتيش في جميع القمرات والحجرات ، وبعد ذلك يتولى السقاة تفتيش الركاب شخصياً . فارتفعت على أثر ذلك همهمة ولغط ، فأسرع بوارو وهمس في أذنه بكلمة ثم خرجا معاً ، فاستدعى الكولونيل ساقيـاً معيناً وألقى اليه أمراً موجزاً ، ثم خرج الاثنان إلى سطح السفينة وأغلقا الباب وراءهما . ولم يلبث الساقي أن عاد وقال للكولونيل :

– ان هنـاك يا سيدي سيدة أعربت عن رغبتها في التحدث اليك فوراً ، وهي الآنسة بويرز الممرضة .

– أحضرها فوراً ، ولا تدع أحداً يغادر القاعة .

ولم تلبث بويرز أن لحقت بالرجلين في صالون التدخين ، وفتحت حقيبة يدها وأخرجت منها عقد اللآلي، فوضعته أمام الرجلين فوق المائدة الصغيرة .. فعرتهما دهشة طاغية ، وقال ريسي

– ما هي الحقيقة بالضبط ؟.. هل أخذت هذا العقد من حجرة لينيت دويل ؟ أريد الحقيقة .

– كلا بالطبع يا كولونيل ريسي . فالتي أخذته من هنـاك هي .. فان شويلر !

– فان شويلر ؟.. الملونيرة الملتزمته العجوز ؟

– نعم . وقد فعلت ذلك بغير ارادتهـا . فهي مريضة بداء السرقة . وهذا هو سبب ملازمتي لها ليل نهـار في الداخل والخارج . فهي في الواقع ليست مريضة بأي داء يحوجهـا إلى اشراف ممرضة باستمرار ، بل ان مهمتي الأساسية في الواقع هي الحيلولة بينها وبين هذه السرقات المرضيـة . ولحسن الحظ انه لم تحدث فضيحة واحدة منذ تعهدت بها ، لأنها لا تحوجني في الواقع الى تعب كثير ، إذ هي تخفي كل ما تسرق في مكان واحـد لا يتغير ، هو جورب قديم . وفي كل صباح أفتش في ذلك الجورب . كما انني أبيت دائماً في الحجرة المجاورة لها ، وأنام نوماً خفيفاً ، وكثيراً ما أستيقظ قبل أن تتحرك للسرقة ليلا وإذا بتنا ليلتنا في فندق ، أحرص على أن يكون بين حجرتي وحجرتها باب مفتوح . وهي مغرمة باللآلىء غراماً خاصاً .

– وكيف اكتشفت هذه السرقة ؟

– وجدتها في الجورب هذا الصباح. وكنت أعرف أنها لآلىء لينيت دويل ، لأنها لفتت نظرنا جميعاً وهي ترتديهـا فهممت أن أتوجه الى مخدعها لأضعها حيث هي قبل أن تستيقظ لينيت وتتبين فقدانها ، وإذا بي أجد خادماً واقفاً بالبـاب يفضي إلي بنبأ مصرعها . فاسقط في يدي ، ولكني عللت النفس بالتمكن من التسلل الى القمرة خلسة ، ولكنني لم أستطع . وكل رجائي ألا تصل الفضيحة الى الصحف او الى أحد من الركاب ، لأن أسرة فان شويلر محافظة جداً فهل أطمع منكما في تحقيق هذا الرجاء ؟

– هذا يتوقف على الظروف .. ولكني أعدك أن نبـذل وسعنا . وماذا ستقول فان شويلر اذا سألناها ؟

– انها تنكر دائماً.. ولهذا حين أتعقبها ليلا وهي تتسلل من مخدعهـا ، لا

يبدو عليها الاضطراب او الخجل ، ولا تقاومني .. بل تزعم انها كانت خارجة للتطلع الى ضوء القمر ، ثم تعود معي مستسلمة في وداعة الحملان .

— وهل تعلم كورنيليا ربسون هذا عن خادمتها ؟

— كلا . ولكن والدتها تعلم . وقد أخفت الحقيقة عن ابنتها ، لانها رأت في تنبهي وحرصي الكفاية .

وعندئذ شكرها الرجلان فانصرفت ، ولكن بوارو عاد فاستوقفها عند الباب وسألها :

— هل فان شويلر مصابة بمرض القتل اللاارادي أيضاً ؟

— كلا . انها لا تؤذي ذبابة ، وأقسم على هذا .

— وهل هي مصابة بشيء من الصمم ؟

— نعم .. ولكنك لا تلاحظ ذلك وأنت تحدثها عن قرب ولكن يحدث في كثير من الأحيان ألا تسمع صوتك وأنت داخل من البــــاب ولا تحس بدخولك .

— أتعتقدين انها يمكن أن تسمع من يتحرك في قمرة لينيت دويل المجاورة لقمرتها ؟

— كلا .. لا أعتقد مطلقاً انها يمكن ان تسمعه وبخاصة ان مائدة الزينة في الحائط المقابل للحائط الفاصل بين القمرتين .

— شكراً لك .. وأرجو الآن ان تذهبي مباشرة الى قاعــة الطعام حيث تمكثين مع الآخرين .

فلما همت بالانصراف ، قام معها الكولونيل ريسي حتى أوصلها الى باب قاعة الطعام ، وعاد ليجد بوارو منهمكاً في تقليب العقد بين يديه ، وعندئذ قال له بوارو

— ان فان شويلر كانت صادقة في جزء واحد من اقوالها ، هو رؤيتهــــا روزالي اوتربورن ، فقد فتحت قمرتها لتتسلل الى قمرة لينيت كي تسرق العقد ،

قرأت روزالي اوثربورن

– أتعتقد إذن ان روزالي كانت هناك ، وكانت تلقي المسدس في النيل ، أي انها هي القاتلة ؟

– ان روزالي كانت تلقي فعلاً شيئاً في النيل ، وهذا الشيء هو صندوق زجاجات الخمر التي ضبطتها ، وكانت امها المدمنة قد خبأته في القمرة .

وباختصار أفهم بوارو الكولونيل سر روزالي .. فعقب الكولونيل على ذلك بابداء أسفه ثم قال :

– أني لمسرور إذ برئت ساحة هذه الشابة المهذبة ولكن ألم تر أحداً او تسمع شيئاً وهي في ذلك الموقف ؟

– لقد سألتها في ذلك ، فصمتت نحو عشرين ثانية .. ثم قالت انها لم تر أحداً ، ولم تسمع شيئاً .

- عجباً .. فانه إذا صح ان لينيت دويل قد قتلت بالرصاص حوالي ذلك الوقت ، لكان من العجب ألا يسمع الطلقة أحد ، لانه في نحو ذلك الوقت كانت جميع الأصوات في السفينة قد هدأت ، فمهما كان صوت الطلقة ضعيفاً ، فلا بد أن يفطن اليه أحد. ولما كانت فان شويلر تشكو صمماً نسبياً ، فطبيعي أنها لم تسمع . والقمرة المجاورة لها من الناحية الأخرى ، ينام فيها بننجتون الموصي الأمريكي .

– نعم يا عزيزي الكولونيل .. إننا لا نفتأ نعود الى بننجتون بين الحين والحين . ولكن دعنا الآن من هذا ، ولنقم بتفتيش القمرات قبل أن يضج الركاب من الانتظار .

– ولماذا نفتش القمرات يا مسيو بوارو ؟ ألم نعثر على العقد ؟

– أتعني هذه اللآليء ؟

ثم تناول العقد وذاق بعض حباته بلسانه ، ثم عضها بأسنانه ، والكولونيل

يحملق في وجهه مـأخوذاً ، ثم هز كتفيه ، ورمى بالعقد فوق المائدة وهـو يقول :

– هاك تعقيدات أخرى في القضية يا عزيزي الكولونيل إن هذا العقد تقليد متقن للعقد الثمين الذي لا يزال مختفياً في مكان مجهول ..

وغضب الكولونيل ريسي لذلك . فراح بوارو يهدئه ، ثم قال له :

– ان هذا الاكتشاف يؤدي بنا الى احتمالين : الاحتمال الأول أن تكون فان شويلر قد سرقت العقد المزيف بعد أن سطا اللص على العقد الأصلي ، والاحتمال الثـاني أن تكون قصة مرض السرقـة من نسج خيـال الآنسة بويرز ، وأن تكون هي السارقة ، وكانت من سرعة الخاطر بحيث سلمتنـا العقد المزيف

* * *

وبدأ التفتيش على الأثر بقمرات الطابق السفلي ، فكانت القمرة الأولى هي قمرة السنيور ريشتي . وقد عثر فيها على مؤلفات في الآثار بلغـات مختلفة ، ومجموعة مختلفة من الملابس، وزيوت للشعر ذات رائحة نفاذة، وخطابين خاصين أحدهما من بعثة للتنقيب عن الآثار في سوريا ، والآخر من شقيقة له في روما ، وكانت مناديله جميعاً من الحرير الملون .

وانتقلا الى قمرة فيرجسون ، فاذا مجموعة من الكتب الشيوعيـة ، وصور فوتوغرافية كثيرة ، وملابس خارجية ممزقة قذرة ، وملابس داخلية من أجود الأنواع وأغلاها ، ومناديله من أفخر أنواع الكتان ولم يعثرا على أوراق أو خطابات من أي نوع .. ولكن بوارو عثر على خاتم به فص منقوش، راح يتأمله بامعان قبل أن يضعه مكانه .

وبعد ذلك اتجها الى قمرة لويز بورجيه خادم القتيل ، وهناك وجدا خادماً

أبلغهما انه لم يوفق في العثور على لويز في أي مكان بالباخرة ، فألقى ريسي نظرة على القمرة فوجدها خالية فانتقل مع بوارو الى قمرات الطابق العلوي ، وبدأ بقمرة جيمس فانشورب من نوع جيد ، وليست هناك خطابات ..

وكانت القمرة التالية قمرة تيم ألرتون ، وهي تدل للوهلة الأولى على أن ساكنها كاثوليكي صميم ، فهناك صليب على الحائط ، ومسبحة كبيرة حباتها من الخشب المنقوش نقشاً دقيقـــاً غريب الشكل . ومجموعة طيبة من الكتب الانجليزية التي صدرت حديثاً في بريطانيا ، وكمية كبيرة من الخطابات متناثرة هنا وهناك ، فألقى بوارو عليها نظرة . ولاحظ من بينها خطابين من جوانا ، ثم تناول أنبوبة من السيكوتين قلبها بين أنامله دقيقة أو أكثر قليلاً ثم أعادها الى مكانها ، وانصرفا الى قمرة السيدة ألرتون ، فاذا كل شيء نظيف طيب الرائحة مرتب ، ولم يجدا شيئاً يستحق الذكر من خطـــابات أو غير ذلك ، فانتقلا الى قمرة سيمون دويل . وكانت كل ملابسه الخاصة وأدوات زينته قد نقلت الى قمرة الدكتور بسنر . ولم يسفر التفتيش الدقيق عن العثور على شيء مطلقاً له صلة بالجريمـــة ، او بالسرقة ، فانتقـــلا بعد ذلك الى قمـــرة القتيل ، وكانت الجثة قد نقلت الى غرفة التبريد ، ولكن كل شيء فيما عدا ذلك كان على حاله بغير تغيير ، فبـــدا بوارو ينقب ويفحص بكل اهتمام ، فجثا على ركبتيه ، وراح يفحص الأرض فحصــاً دقيقاً ، ثم فحص الفراش ، والملابس الداخلية والخارجية ، ثم توجه بعنايته الى حوض المغسل ، فاذا معاجين مختلفة ، وعطور ، وزيوت . ولكن الشيء الذي استأثر بانتباهه دون سواه كان زجاجتين من طلاء الأظافر تناولهما فاذا احداهما تحمل بطاقة اللون الوردي ، وكانت خالية الا من نقطة او نقطتين من سائل أحمر أدكن وأما الزجاجة الأخرى التي تماثلها حجماً فكانت تحمل بطاقة اللون القرمزي وكانت ملآنة حتى فوهتها تقريباً .

وفتح بوارو الزجاجة الأولى الفارغة ، ثم الزجاجـــة الثانية الملآنة ،

وشمها من التعاقب . ثم أعرب عن رغبته في الرجوع الى الخادم لويز شخصياً كي يستفسرها عن نقطة غامضة ، وبعد ذلك غادر الرجلان مقصورة القتيل الى قمرة فان شويلر ، فاذا مظاهر الترف والغنى بادية واذا بها عدد من الأوراق الخاصة والخطابات ، وعنى بترتيبها . وليس هناك فيما عدا ذلك شيء يذكر .

وكانت المقصورة التالية هي مقصورة بوارو نفسه ، ومن ورائها مقصورة الكولونيل ربسي ، فأعرب الكولونيل عن شكه في أن يخفي اللص المقعد في احداهما . فقال له بوارو :

– ولم لا؟.. لقد كنت ذات مرة راكباً قطار اكسبريس الشرق ، ووقعت جريمة سرقة ، وكان المسروق شيئاً تافهاً ، عبارة عن « ايشارب » من الحرير الأحمر ، وقمت انا بتحقيق هذه السرقة ، فأين تحسبني وجدته ؟. في حقيبتي المقفلة يا صديقي !

– إذن هيا نرى هل أخفى أحدهم المسروقات عندي أو عندك .

ولكن اتضح ان اللص لم يكن جسوراً الى هذا الحد .. فانصرف الرجلان بعد ذلك الى البحث في حجرة الآنسة بوبرز ، ولكنهما لم يجدا فيها شيئاً يثير الريبة . وكانت مناديلها من الكتان العادي وتحمل الحرف الأول من اسمها .

وكانت القمرة التالية هي التي تقيم فيها السيدة اوتربورن وابنتها روزالي ، وقد فحصها بوارو فحصاً دقيقاً ولكن بغير طائل .

وانتقل الرجلان بعد ذلك الى قمرة الدكتور بسنر ، وكان سيمون دويل راقداً فيها وأمامه صينية من الطعام لم تمسسه يده فطلب رفع الطعام ، وكان يبدو أسوأ حالاً عما كان عليه من قبل . وقد أظهر سيمون دهشة شديدة عندما أنبأه بوارو ان لآليء زوجته قد سرقت ، ثم ان الآنسة بوبرز ردتها بعد ذلك ، ولكن اتضح انها تقليد متقن . وقد أكد تأكيداً قاطعاً ان زوجته لم

تكن تلك صورة مقلدة لعقدها الثمين وقال
– ان لينيت كانت تحب هذه اللآلىء حباً جماً . وكانت تلبسها في كل مكان ، وكانت قد أمنت عليها وهذا ما جعلها قليلة الاكتراث لصانتها من الضياع .
– اذن يجب ان نستمر في البحث .
ثم هجم كل من الرجلين على جانب من جوانب الحجرة احدهما على دولاب والآخر على الحقيبة ، فصاح سيمون محملقاً
– إسمعا ! لا أظنكما على كل حال ترتابان في ان يكون بسنر هو الذي اختلس العقد ؟
– وماذا نعلم نحن عن بسنر الا ما يذكره هو عن نفسه ؟ إن كل شيء في نظر المحقق الجنائي جائز .
– ولكنه ما كان ليخفي شيئاً هنا دون أن أراه !
– تماماً ما كان ليخفي هنا شيئاً « اليوم » دون ان تراه . ولكننا لا نعلم متى تم إبدال العقد الصحيح بالمزيف . فمن يدرينا ان ذلك الابدال لم يقع منذ بضعة أيام ؟
ومع ذلك فان البحث لم يسفر عن شيء ..

* * *

وكانت القمرة التالية قمرة بننجتون . وقد قضى الرجلان في تفتيشها وقتاً غير قصير ، وفحصا بعناية حقيبة مليئة بالوثائق والمستندات التي كانت كل ورقة فيها تنتظر توقيع لينيت ، ولكنهما اقتنعا أخيراً بأن الرجل ليس من الغفلة بحيث يترك اي وثيقة تدينه او تثبت عليه أي تلاعب بعد علمه بمقتل لينيت .
وقد عثرا في احد الأدراج على مسدس ضخم ، فحصه بوا و ثم أعاده الى

مكانه ، اذ كان واضحاً ان الجريء لم تقترف بسدس من ذلك النوع ولم يجدا بعد ذلك شيئاً يلفت النظر . فخرجا

واقترح بوارو ان يمضي الكولونيل في تفتيش بقيـــة القمرات ، وهي التي تشغلها جاكلين وكورنيليا ، وقمرتين خاليتين ، في حين يذهب بوارو الى قمرة الدكتور بسنر ليتحدث في نقطة تشغل باله الى سيمون دويل . وقد تم الاتفاق على ذلك ، وما ان دخل بوارو على سيمون حتى بادره الشاب قائلاً

- لقد فكرت جيداً .. واني متأكد تمام التأكيد من أن هذه اللآلىء ، كانت على ما يرام حتى امس .

- وما الذي يدعوك الى ذلك اليقين يا مسيو دويل ؟

- لأن لينيت كانت تتأملها بهيام قبل العشاء مباشرة وهي تحدثني عنها . وأعتقد انها - وهي الخبيرة في اللآلىء - كانت حرية ان تكتشف الحقيقة لو ان ما بين يديها كان هو العقد المزيف .

- ربما .. ولكن خبرني ، هل كان من عادة لينيت دويل ان تترك هذه اللآلىء بعيدة عن نظرها طويلاً ، كأن تقرضها لصديقة ترتديها في حفـــل أو ما أشبه ؟

- الواقع يا مسيو بوارو انه يصعب علي ان أقطع في هـذه المسألة بقول ، فانني كما تعلم لم أعرف لينيت إلا منذ مدة قصيرة . ولكن يخيل الي أن لينيت كانت سخية بما في يدها غاية السخاء ، ولهذا يغلب على ظني انها ربما فعلت ذلك .

وعندئذ ازداد صوت بوارو نعومة وهو يسأله

- ألم تقرض العقد مثلاً لصديقة تعرفها مثل الآنسة جاكلين دي بلفور قبل ان تتعرف انت على مدام لينيت ؟

- ماذا تعني؟ . هل تقصد ان جاكلين سرقت اللآلىء؟ انها لم تسرقها يا سيدي ، وأقسم على ذلك . فجاكلين مستقيمة كالسيف صريحة وان مجرد تصورها انها

تتسلل وتسرقه ينطوي على تناقض سخيف

– ويحي ! لقد هيجت بهذه الاشارة عش الزنابير . لا عليك !

ورنت في اذن بوارو عندئذ كلمة جاكلين ليلة الالتقاء بها في حديقة فندق كتراكت بأسوان :

– أنا أحب سيمون .. وسيمون ايضاً يحبني ..

وفي هذه اللحظه انفتح الباب ، ودخل الكولونيل ريسي فقال :

– لم أجد شيئاً .. وها هم السقاة قادمون بنتائج تفتيش الركاب ، فقد قام بذلك كبير السقاة من الرجال ، وكبيرة الخدم قامت ايضا بتفتيش النساء . وتقدم كبير السقاة اولاً ، فقال :

– لم نجد شيئاً يا سيدي .

– ألم يحاول أحد مقاومة التفتيش او الزوغان ؟

– لقد حاول ذلك يا سيدي الرجل الايطالي .. وقـــد ثار وزمجر واعتبر التفتيش إهانة ، وكان يحمل مسدساً ضخما من طراز موزر .

وبعد ذلك تقدمت كبيرة الخدم ، هي امرأة كبيرة الحجم ، ولكنها وسيمة مهذبة ، فقالت :

– لم أجد شيئاً يا سيدي مع السيدات . وقد أتعبنني كثيراً بالاحتجاجات ما عدا السيدة الرثون ولم أجد للآليء أثراً ولكن عثرت مع الآنسة روزالي اوتربورن على مسدس في حقيبة يدها .

– من أي طراز ؟

– انه شيء صغير جداً يا سيدي ، كلعب الأطفال ، ومقبضه مرصع باللآليء .

وعندئذ زمجر الكولونيل ريسي قائلاً :

– فلتختطف الأبالسة هذه القضية اللعينة ! . لقد حسبتها برئت من الريبة وسرني ذلك ، ولكن .. أترى كل امرأة في هذه السفينة تحمل مسدساً مرصع القبضة باللآليء ؟

اما بوارو فلم يتأثر لما سمع ، وسأل كبيرة الخدم بهدوء :

– هل أظهرت شيئاً من الاضطراب عندما اكتشفت المسدس في حقيبتها ؟

– كلا يا سيدي .. بل اني لا أظنها عرفت انني رأيته . فقد كان ظهري الى جهتها وأنا أفتح الحقيبة .

– والخادمة لويز بورجيه ؟ ما خبرها ؟

– لقد بحثنا عنها يا سيدي في كل مكان فلم نعثر عليها .

وعندئذ تدخل سيمون دويل في المناقشة ، وسأل :

– ما هذا ؟.. ماذا جرى للويز ؟

– ان خادمة زوجتك قد اختفت !..

فصاح بشيء من الحدة .

– أتقول اختفت ؟

فقال له الكولونيل ريسي :

– ربما كانت هي التي سرقت الجواهر.. فالفرصة متاحة لها اكثر من غيرها لصنع ذلك التقليد المتقن ، ثم للقيام بعملية البدل .

– وهل تظنها عندما وجدت انالتفتيش سيضيق عليها الخناق القت بنفسها في النيل ؟

– مستحيل أن يحدث هذا طبعاً في سفينة كهذه وفي رائعة النهار. لا بد انها في مكان ما .

واتجه بعد ذلك الى كبيرة الخادمات ، فسألها :

– متى شاهدت لويز بورجيه آخر مرة ؟

- قبل جرس الغداء بنصف ساعة يا سيدي .

– إذن نلقي نظرة اخرى فاحصة على حجرتها ، فقد يهدينا ذلك الى شيء .

ومضى الرجلان الى الطابق الأسفل ، فاذا بالوصيفة التي مهمتها ترتيب

شئون سيدتها آية في الفوضى وسوء النظام . فأقبل بوارو على فحص الأدراج ، في حين انهمك ريسي في فحص الحقيبة .

وكانت احذية لويز مصفوفة أمام السرير. ويبدو ان زوجا منها اسود لامعا كان مستقراً في وضع غريب بعض الشيء ، فقد كان « البوز » الى أسفـــل والكعب الى أعلى والحذاء غير مستقر في وقفته تلك على شيء ظاهر . فلفت ذلك الحذاء البهلواني نظر ريسي ، فأقفل الحقيبة وانحنى فوق هذه الأحذية ، وعندئذ انطلقت من فمه صيحة دهشة شديدة ، فاستدار نحوه بوارو وسأله بالفرنسية :

– ماذا هناك ؟

فقال ريسي متجهما :

– انها لم تختف . فهي هنا .. تحت السر !.

الفصل الثامن

جثة امرأة آخرى

وتحت السرير كانت جثة امرأة ميتة ، عرفت وهي على قيد الحياة باسم لويز بورجيه . وانحنى الرجلان فوقها ، ثم كان ريسي أسبقهما الى النهوض قائلاً :

– لقد ماتت منذ وقت لا يزيد على الساعة الا قليلاً فيما اعتقد . وسأدعو الآن الدكتور بسنر لفحصها ، وان كان ظاهراً انها أصيبت بطعنة في القلب فماتت لتوها . فهذا وجهها متقلصا يبعث الرعدة في الجسم .

وتناول بوارو يدها اليمنى بلطف، فظهر بين أصابعها شيء استخلصه وقدمه الى ريسي ، فاذا قصاصة من الورق الملون ، عبارة عن جزء من ورقة نقد من ذات الألف فرنك ، وعندئذ قال ريسي :

– وضح الآن انها كانت تعرف شيئا عن القاتل، وكتمته ثم حاولت ابتزاز المال منه بالتهديد ، وأظنك يا بوارو تذكر اننا لاحظنا عليها الالتواء وهي تدلي بأقوالها .

– يا لنا من مغفلين ! ألا تذكر انها قالت : « ماذا كان يمكن أن أرى وأنا في الطابق السفلي ؟ أما لو انني صعدت السلم اذن لكان من الجائز أن أرى القاتل داخلاً او خارجا من قمرة سيدتي » هذا ما قالته يا عزيزي

بجذافيره . وهذا ما حدث ، فقد جفاها النوم فصعدت الى السطح كي تستنشق الهواء ، فرأت .. وأعراها الطمع فكتمت ما رأت ، فانتهى بها الطمع الى هذه العملية .

– ولكن هذا لا يهدينا الى القاتل .. قاتلها وقاتل سيدتها من قبل .

– بل نحن نعرف الآن الكثير . نعرف كل شيء تقريباً يا كولونيل ، ولكنني لا أكاد أصدق ، ومع هذا لست أرى مناصاً من ان يكون الأمر كذلك . فالتهديد هو الدافع لها على كتمان الحقيقة .

– ولكن لماذا دفع لها القاتل ما طلبته بالعملة الفرنسية ؟

– ربما فاجأت للقاتل بالتهديد فاضطر ان يدفع لها كل ما معه من انواع العملة المختلفة ، ومن بينها العملة الفرنسية .

– ولكن لماذا قتلها بعد ان أعطاها النقود ؟

– لقد أدرك ان التهديد لن ينتهي ، وانه سيكون دائماً تحت رحمة هذه الشيطانة . فانتهز فرصة انشغالها في عد المبلغ للتأكد من مقداره ، وطعنها الطعنة النجلاء ، ثم راح يجمع نقوده ، ولم ينس تلك الورقة التي بقي طرفها بين أصابع القتيل ، ولاذ بالفرار بعد ذلك .

– إذن سيسهل علينا التعرف عليه عن طريق هذه الورقة المقطوعة .

– لا اظن ذلك يسيراً يا عزيزي الكولونيل .. فمن كان في مثل ذكائه الذي عهدنا حتى الآن يراجع تلك الأوراق ، ويعدم هذا الدليل الذي يقوده الى المشنقة .

وسرعان ما حضر الدكتور بستر مأخوذاً بتلك الجريمة الجديدة ، ففحص الجثة على عجل وأيد ما ذهب اليه الكولونيل ريسي من ان الوفاة حدثت منذ أقل من ساعة ، فسأله بوارو :

– ما هو نوع الأداة التي تمت بها الجريمة ؟

فقال :

– هذا فعلاً شيء غريب .. انها آلة دقيقة حادة رفيعة النصل ، وأظن اني أستطيـع ان اريك شيئاً من قبيلها

وخرج الدكتور بسنر ، فتوجه الى قمرته وأبرز مشرطا طويلاً من مشارط الجراحة ، وقال :

– بمثل هذه يا سيدي تمت الجريمة ، لا بمدية عادية او سكين من سكاكين المائدة او المطبـخ .

– أليست هناك أداوتك الجراحية ناقصة ؟

– ماذا تريد ان تقول ؟ .. هل تعتقد انني انا ،انا ،كارل بسنر ، المعروف في جميـع انحاء النمسا . انا بعياداتي والطبقة العريقة النسب من زبائني ومرضاي اقتل وصيفة مسكينة ؟ هذا شيء مضحك وسخيف ! ثم اعلم انه ليست هناك أية الة من الاتي الجراحية ناقصة . فهي هنا جميعاً سليمة كاملة في مواضعهـــا المعهودة وفي مقدورك ان تتحقق من هذا بنفسك . ولن انسى ما حييت هذه الأهانة التي لحقت بمهنتي الشريفة .

ثم اقفل حقيبة الادوات الجراحية والقى بها بعيداً فوق سطح السفينـــة واستطرد صائحاً :

– والآن هل تتكرمان باخلاء قمرتي ، فانني يجب ان انصرف الآن الى عمل الفيار لساق مريضي .

فتسلل الرجلان خارجين ، وزمجر ريسي بكلام غير مفهوم ، ثم انصرف. اما بوارو فاتجه الى اليسار . وطرق سمعه وهو سائر طرف من حديث نسوي، وضحكة ناعمة . فقد كانت جاكلين مع روزالي في حجرة الأخيرة ، وكان الباب مفتوحاً ، والفتاتان واقفتان بقربه .. فلما وقع عليهما ظله التفتـا نحوه ، فحيته روزالي بابتسامة حيية ، فقال لهما :

– هل تغتبابان أحداً ؟

فقالت روزالي :

كلا . الواقع اننا نعقد مقارنة بين أقلام احمر الشفاه .

ولمحت جاكلين ابتسامته .. فلم يخف عليها انها ستــــار زائف لهم دفين ، فتركت قلم الروج الذي كان في يدها واتجهت نحوه وتقول :

– هل حدث شيء ؟.. هل جد جديد ؟

– الأمر كما تقولين فعلاً يا انسة .. فقد جد جديد .

وعندئذ خرجت اليه روزالي متسائلة :

– ماذا جرى ؟

– جريمة قتل أخرى .

فشهقت روزالي شهقة شديدة ، وبدا في عينيها شيء يشبه الذعر ، ولكنـه لم يعبأ بذلك وأردف :

– لقد قتلت وصيفة لينيت دويل .

فصاحت جاكلين :

– قتلت ؟ أتقول قتلت ؟ اتعني انها ماتت ؟

– نعم ، لقد قتلت .. ويظهر ان هذه الفتاة كانت قـد رأت شيئاً لم يكن ينبغي لها ان تراه ، ولذلـــك أخرس القاتل لسانها حتى لا تبوح بمعلوماتها الخطيرة .

فسألته جاكلين :

– ماذا رأت ؟

– رأت شخصاً يدخل قمرة لينيت دويل او يخرج منها في تلك الليــــلة المشؤمة . وقد ماتت للاسف دون ان تدلي باسم من رأت .

وفي هذه اللحظة سمعت فوق ظهر السفينة خطـوات ظهرت على أثرهـــا كورنيليا روبسون وقد اتسعت حدقتاها وفاضا رعباً ، ثم صاحت :

– أواه يا جاكلين ! لقد حدث شيء هائل ! جريمة اخرى .

فالتفتت نحوها جاكلين ثم سارت معها ، فسار بوارو وروزالي في الاتجـاه

المضاد ، فلما ابتعدا قليلاً سألته روزالي :

– لقد لاحظت وأنت تتحدث انــك كنت تنظر في وجهي بامعان طــول الوقت ، مع ان التي كانت تسألك هي جاكلين ، فلماذا كنت تنظر إلي ؟ وماذا كان يدور في ذهنك ؟

– هذان يا انسة سؤالان . وسوف أجيبك على سؤال واحد منهما، ولكن جوابي سيكون سؤالاً ثالثاً : لماذا لا تقولين لي الحقيقة يا انسة ؟

– لست ادري ماذا تعني . لقد قلت لك كل شيء هذا الصباح .

- كلا .. بل هناك أشياء كتمتها عني . فلم تذكري لي مثلاً انك تحملين في حقيبة يدك مسدساً صغير الحجم مقبضة مرصع باللؤلؤ ، ولم تخبريني أيضاً من الذي رأيته في الليلة الماضية وانت على ظهر السفينة .. فما جوابك ؟

فاحتقن وجهها ، وقالت بحدة :

– ليس صحيحاً انني أحمل مسدساً .

ثم اندفعت الى قمرتها وأحضرت حقيبة يدها فوضعتها بين يديه قائلة :

– هذه هي حقيبتي ، فتحقق بنفسك .

ففتح بوارو الحقيبة ولم يجد بداخلها مسدساً ، فأقفل الحقيبة وأعادها اليها باسماً ، وهو ينظر في عينيها ، فتناولتها ثم قالت :

– ها أنت ذا ترى يا مسيو بوارو انك لست معصوماً من الخطــأ على شدة ذكائك وقوة فراستك . وكما ان هذه النقطة غير صحيحــة ، فالمسألة الأخرى التي أشرت اليها غير صحيحة مثلها .

– كلا .. لا أظن ذلك .

فدقت الأرض بقدمها غاضبة ، وقالت :

– انك تدفعني الى الجنون !.. فما ان تضع في رأسك فكرة حتى تتمسك بها مهما كانت سخيفة .

– لأنني أريد ان اظفر بالحقيقة .

– وما هي الحقيقة ؟.. انك لتتصرف كما لو كنت تعرفها أكثر مني . فلماذا تسألني بربك يا مسيو بوارو ؟

– أتريدني حقاً على ان اقول لك ماذا ابصرت في تلك الليلة .؟

– نعم .

– اعتقد انك حين درت حول مؤخرة السفينة وقفت دون قصد منك ، لأنك رأيت رجلا يخرج من قمرة في منتصف الصف ، وهي قمرة لينيت دويل كما تبين لك في اليوم التالي . وقد رأيته يخرج متسللا ويقفل الباب وراءه ، ثم يبتعد عن موضعك الى الناحية الأخرى بابا او بابين ، ثم يدخل قمرة من القمرتين الاخيرتين في الصف . فهل اصبت يا انسة ؟

فلم تجبه بشيء ، فأردف قائلا :

– لعلك تعتقدين انه من الخير لك الا تتكلمي ، ولعلك أيضاً تخشين إذا تكلمت ان تقتلي كما قتلت المسكينة لويز بورجيه .

وخيل اليه ان معركة قد نشبت في أعماق نفسها ، ووراء شفتيها المطبقتين، ثم انفرجت هاتان الشفتان ، واختلجتا لحظة ، ثم قالت

– لم أبصر أحداً .

قتيلة ثالثة

انتهت عملية الغيار على ساق سيمون دويل ، فخرجت الممرضة بويز من قمرة الدكتور بسنر وهي تسوي كميها بيديها .. فتركت جاكلين صحبة كورنيليا وأسرعت اليها تسألها عن حالة سيمون ،ووصل بوارو في تلك اللحظة ليسمع جواب الممرضة ان الحالة ليست منذرة بالخطر، فصرخت جاكلين قائلة :

– أتعنين انها سيئة ؟

– الحقيقة اننا سنشعر بارتياح كبير حين نصل الى أسوان ونضعه بين يدي اخصائي يفحصه بالأشعة ، ثم يسلمه الى الجراح للعظام . وللأسف لن نصل الى أسوان قبل صباح الغد وكنا نتمنى لو وصلنا قبل ذلك ، ولو اننا نبذل كل ما في وسعنا .

– هل سيموت ؟

– كلا يا آنسة جاكلين ، او هذا على الأقل ما نتمناه . فالجرح في حد ذاته ليس خطيراً ، ولكن العقاقير هنا غير متوفرة ، ولا يمكن جبر العظام قبل الفحص بالأشعة .. يضاف إلى هذا أن الحمى بدأت تنتابه ، للصدمات العصبية التي لا تلائم الجرحى ، وارتفاع درجة الحرارة علامة غير مستحبة في هذه الأحوال .

وانصرفت الممرضة على الأثر ، والدموع تفيض من عيني جاكلين حتى أصبحت لا تبصر طريقها الى غرفتها فجعلت تترنح ، واذا بيد تسند ذراعها ، فرفعت رأسها لترى بوارو الى جوارها ، فساعدها على الوصول الى باب غرفتها ، فارتمت فوق السرير والدموع تزيد انهياراً ، ثم أخذ جسدها كله يهتز اهتزازاً عنيفاً بزفيرها وشهقاتها .

– انه سيموت .. سيمون سيموت . وأنا التي قتلته بيدي !

فهز بوارو كتفيه وحاول أن يذكرها بأنه لا فائدة من التحسر على ما فات ، وان ما كتب قد كتب ، ولا داعي للتشاؤم

– ولكنني أحبه كثيراً ، كثيراً جداً .

فتنهد بوارو وقال

– أكثر مما يجب .. ولكن ينبغي ألا تؤخذي بما سمعته من الآنسة بوبرز ، فان ممرضات المستشفيات يملن دائماً الى تكديس البلايا على رؤوس الناس . وهن دائماً متشائمات . فممرضة الليل تبدي دهشتها حين ترى المريض لا يزال حياً عند بداية نوبتها ، وممرضة النهار تبدي دهشتها حين تجده قد عاش حتى

الصباح ! فأدمغتهن محشوة باحتمالات المضاعفات والنكسات . وذلك أشبه بمن يقود سيارة والى جانبه شخص من هؤلاء الأذكياء الفطناء يقول له بين دقيقة وأخرى : « أفرض أن عربة أعترضتك من المنعطف الأيمن ، أو أفرض أن سيارة النقل التي أمامك غيرت رأيها وأخذت في المشي بظهرها فجأة ، أو أن كلباً نهش ذراعك وأنت تخرجه من السيـــارة للاشارة ، أو أن العجلتين الاماميتين انفجرتا ، وأخيراً أفرض أن الموتور جن جنونه فانفجر ، أو أن صاعقة نزلت من السماء ، فهذه كلها احتمالات تنجم عنها الوفاة » ! ولكن الذي يحدث في الغالب أن شيئاً من كل هذه الاحتمالات لا يقع ، وأن الرحلة تتم بسلام .

فابتسمت جاكلين من خلال دموعها وقالت :

– أتراك تحاول تعزيتي يا مسيو بوارو .

– كلا . ولكنني اؤكد لك أن المحنة قد أوشكت على الانتهاء ، وانه بمجرد وصول سيمون الى مستشفى أسوان سينال العناية الواجبة ويصبح كل شيء على ما يرام .

– أحقاً ؟ هل يشفى سريعاً ؟

– نعم نعم .. سيكون كل شيء في النهاية على ما يرام ، وستعيشان – كما في الحكايات – وتنجبان البنين والبنات أليس كذلك !

فتضرج وجهها وقالت :

– أؤكد لك يا مسيو بوارو أنني لم أقصد أبداً .

فهز رأسه هزة العارف ، وتركها وقد اطمأن الى هدوء نوبتها .. فلما صار على سطح السفينة ، ابتدره الكولونيل ريسي وقد كان يتمشى هناك – قائلاً :

– أين أنت يا بوارو ؟ عندي فكرة يا رجل !

– عجباً ! ما هي ؟

- انها كلمة سمعتها عفواً ، عن برقية فضتها لينيت خطأ وهي تحسبها لها ، مع انها بعنوان ريشتي .

- هذا صحيح .

- ربما لم يقدنا هذا الخيط الى شيء ، ولكن من يدري ؟ فلماذا لا نذهب الآن ونستوضح سيمون دويل عن ملابسات تلك البرقيـة ، فقد كان شاهد عيان ؟ هذا اذا أذن لنا صديقنا اللدود الدكتور بسنر .

ولكن اتضح ان الطبيب كان لا يزال ساخطاً .. فحينما طرقا باب قمرته ، قال عابساً

- ماذا تريدان الآن ؟ أتريدان رؤية مريضي مرة أخرى ؟ ولكني قلت لكما ان هذا ليس من الحكمة في شيء . فهو محموم وقـد عانى من الاضطراب اليوم ما فيـه الكفاية بسبب موت زوجتـه أولاً ، ثم موت خادمته ثانياً .

وبعد توسل ووعد بعدم الاطالة ، غادر الدكتور القمرة منذراً بالعودة بعد ثلاث دقائق لا تزيد ثانية واحدة فتولى الكولونيل ريسي شرح الموضوع لسيمون ، فقال على الفور :

- نعم أذكر ظروف تلك البرقية جيداً ، فقد حدث ذلك ونحن في وادي حلفا ، وقد عدنا فوراً من مشاهدة الشلال الثاني ، وخيل الى لينيت انها رأت برقية باسمها معلقة على لوحة الرسائل ، فقد نسيت لقرب عهدها بالزواج أن اسمها قد تغير من ريدجواي الى دويل ، وبالخط السريع الذي تكتب بـه البرقيات يسهل ان يخلط الانسان بين ريشتي وريدجواي ، ففضت البرقيـة ولكنها لم تفهم منها شيئاً ولم تميز لها على حد تعبيرها رأساً من ذنب ، وكانت تبدي لي عجبها وحيرتها حين أقبل من الشاطىء ريشتي ، فانتزع البرقية من يدها وهو يتميز غضباً ، فخجلت لينيت وجعلت تعتذر اليه ، ولكنه كان فظاً جداً في رده عليها ، حتى انها كادت تبكي

فزفر الكولونيل ريسي زفرة عميقة وقال
– وهل تذكر يا مستر دويل شيئاً من الكلمات الغريبـــة التي وردت في تلك البرقية ؟
– نعم فقد قرأت لينيت جانباً منها علي بصوت عال ، وقد جاء فيها على ما أذكر .

وتوقف قليلاً . كأنما ليلتقط نفسه ، وإذا بجلبة في الخارج وصوت مرتفع يقترب من الباب وهو يصيح :

– أين المسيو بوارو والكولونيل ريسي ؟ يجب ان اراهمـــا فوراً ! الأمر غاية في الأهمية . لدي معلومات خطيرة هل هما لدى مستر دويل .
ولم يكن الدكتور بسنز قد اغلق الباب ، فليس يحجب القمرة إلا ستارة أزاحتها الآنسة اوتربورن جانباً ودخلت كالقنبلة، وقد احتقن وجهها ، وتشعث شعرها ، وتداخلت الكلمات على لسانها :
– آه يا مستر دويل ! لقد عرفت من الذي قتل زوجتك !
فصاح سيمون بصوت عال جداً :
– ماذا تقولين ؟ أتعرفين حقاً من قتل زوجتي ؟

فنظرت السيدة اوتربورن الى الرجال الثلاثة نظرة ذات مغزى ،ثم جلست أمامهم وقالت
– لعلك يا كولونيل توافقني على ان اليد التي قتلت الخادم لويز بورجيه هي هي التي قتلت لينيت دويل ؟
فقال سيمون بلهفة شديدة :

– نعم نعم . هذا بديهي ، وبعد ؟
– إذن فكلامي صحيح ، وأنا إذن أعرف من الذي قتل لينيت دويل ، لأنني رأيت بعيني قاتل لويز بورجيه .
– رأيته بعينيك ؟!

- نعم بعيني هاتين . رأيت الشخص الذي قتل لويز بورجيه .

فاذا بالمريض المحموم يصيح بأعلى صوته :

- بربك كفى تمهيدات ، وابدئي القصة من بدايتها لا من خاتمتها .

- اطمئن اطمئن . سأحكي لكم الآن ما حدث بالضبط وبالتفصيل ، ثم أخذت نفساً طويلاً وفتحت فمها وقالت :

- حدث ذلك وأنا هابطة الى قاعة الطعام لتناول الغداء .

والواقع انني كنت زاهدة في الأكل ، وذلك طبيعي بالنسبة للظروف الدامية التي أحاطت بنا هذا النهار . ولا اطيل عليكم .. ففيما أنا في طريقي تذكرت انني نسيت شيئاً في حجرتي ، فطلبت الى روزالي ان تسبقني الى قاعة الطعام ثم عدت ادراجي الى قمرتي .

وعندئذ لمعت عينا بوارو بضحكة مكتومة ، لأنه أدرك انها عادت الى القمرة كي تختلس جرعة من الكونياك قبل الغداء . وفي هذه اللحظة أيضاً ، أزيح جانب من ستارة الباب كأن النسيم هو الذي حركها ، فلم يلتفت أحد من الموجودين في القمرة الى ذلك ، واستطردت السيدة متلعثمة :

- والحقيقة انني كنت اتفقت مع بعض خدم الباخرة كي يحضروا إلي شيئاً لاستعمالي الشخصي ، بدون علم ابنتي فانها حساسة ومثيرة للضجر في بعض الأحيان ، ولذلك .

وتحركت الستارة مرة أخرى ، وبرز فيما بينها وبين الجدار قضيب من الفولاذ الأشهب اللامع ، اما السيدة اوتربورن فاستطردت :

- وكان الاتفاق ان ادور حول مؤخرة السفينة في الطابق الاسفل حيث التقى بالرجل الذي ينتظرني هناك . وفيما انا سائرة انفتح باب احدى القمرات وأطل منه شخص .وكان هذا الشخص هو تلك الفتاة القتيل لويز بورجيه. وكان يبدو عليها انها في انتظار حضور أحد ، فلما سمعت وقع اقدامي حسبتني هو ، ولما تبينت خطاها ظهرت عليها أمارات الخيبة واختفت داخل قمرتها

على الفور ، ولم اعلق على المسألة اهمية ، لأنني أولتها التأويل الطبيعي بالنسبة لفتاة مثلها ، فلما فرغت من مهمتي وعدت ، شهدت وأنا عند المنعطف أحداً يطرق باب الفتاة ..

وقاطعها الكولونيل ريسي عندئذ قائلاً :

– وكان هذا الشخص ..

ودوت القمرة فجأة بانفجار ، وامتلأت برائحة الدخان . وترنحت السيدة اوتربورن ، ثم خرت على الأرض لا حراك بها ، وقد أخذ الدم يتدفق من ثقب وراء أذنها مباشرة .

وتلت ذلك لحظة صمت رهيبة ، تسمر فيها كل انسان في موضعه وبعدها قفز ريسي وبوارو واقفين ، فانحنى ريسي فوقها ، في حين جري بوارو خارجاً ولكنه وجد سطح السفينة خالياً ، وعلى الأرض عثر على مسدس ضخم ، وحملق فيه بوارو ، ثم تلفت في السطح الخالي وأسرع الى مؤخرة السفينة ، فاذا به يصطدم عند المنعطف بالشاب تيم الرتون الذي كان قادماً بأقصى سرعة من الناحية الأخرى ، وصاح تيم وهو يلهث :

– ما هذا بحق الشيطان ؟

– ألم تقابل أحداً وأنت قادم ؟

– كلا ...

– إذن تعال معي ...

وجذبه بوارو من ذراعه وعاد ادراجه ليجد جمعاً مكوناً من الآنسات روزالي وجاكلين وكورنيليا وقد خرجن مذعورات من قمراتهن ومن الناحية الأخرى حيث الصالون أقبل فيرجيسون وفانثورب والسيدة الرتون . وقال بوارو لتيم الرتون :

– هل معك قفاز حتى أمسك به هذا المسدس ؟ فتش في جيبك عن قفاز .

– نعم ها هو .

فتناول بوارو القفاز من يده ، فلبسه وانحنى فوق المسدس يفحصه ، ثم فحصه الكولونيل ريسي . والجميع من حولهما وكان على رؤوسهم الطير ، وقال ريسي بعد ان فرغ من فحصه :

– ان القاتل لم يهرب الى جهة الصالون ، فان فانثورب وفيرجيسون كانا في تلك الجهة ، فكان لا بد ان يبصراه في هذه الحالة يا عزيزي بوارو .

– ومستر تيم الرتون كان يراه لو انه جرى الى الجهة المقابلة .

– اظن يا عزيزي بوارو اننا راينا هذا المسدس من قبل ولكن يجب ان نتأكد من ظنوننا أولاً .

وطرق ريسي باب قمرة بننجتون فلم يجبه أحد وكانت القمرة خالية ، فاتجه ريسي نحو الدولاب ففتح ادراجه ، ولكنه لم يعثر للمسدس على أثر ، فالتفتت الى بوارو وقال :

– هذا هو الدليل القاطع .. والان اين بننجتون نفسه ؟

وخرجا الى السطح ، وكانت السيدة الرتون قد انضمت الى المجموعة فاتجه بوارو نحوها بسرعة ثم قال لها :

– سيدتي خذي الانسة اوتربورن الى قمرتك واشمليها برعايتك ، فان والدتها .. قتلت .

وقال ريسي :

– أين بننجتون بحق الشيطان ؟ ابحثوا عنه . ألا توجد بصمات على هذا المسدس يا بوارو ؟

– كلا مطلقاً

* * *

وبعد قليل عثروا على بننجتون في الطابق السفلي جالساً في حجرة الجلوس الصغيرة منصرفا الى كتابة خطابات ، فرفع رأسه الجميل التقاطيع وقال .

– ماذا من جديد ؟

– ألم تسمع الطلقة ؟

– اما وقد ذكرتني الان ، فاعتقد انني سمعت صوتا يشبه ذلك ، ولكن لم يخطر ببالي مطلقا ان تكون هناك جريمة جديدة ، ومن القتيل هــــذه المرة يا مسيو بوارو ؟

– السيدة أوثربورن .

فظهر الذهول على وجه الرجل وقال :

– السيدة اوثربورن ؟ انك تذهلني .. انني لا أتصور هــذا مطلقا ، وفي ظني ان هناك شخصا مجنونا مصابا بداء القتل فوق هذه السفينة ، يقتل النساء خاصة وبدون اسباب .

– كم لك من الوقت في هذه الغرفة ؟

– حوالي عشرين دقيقة .

– ألم تغادرها في تلك الأثناء ؟

– كلا .. ولكن لماذا هذا السؤال ؟

فحدق ريسي في وجهه ، ثم قال له بصرامة :

– لأن السيدة اوثربورن قتلت بمسدسك !

فكاد بننجتون يصعق ، وبدا عليه انه لا يصدق اذنيه ، فقال :

– الحق ان هذه مسألة خطيرة جداً !

– خطيرة جداً بالنسبة لك يا مستر بننجتون .

– بالنسبة لي أنا ؟.. لقد كنت جالسا هنا منصرفا الى الكتابـة حينما انطلقت تلك الرصاصة الآثمة .

ثم هز رأسه كمن يريد ان ينفض عنه حلما مزعجا ، وقال :

– ولكن كيف بالله يمكن ان أصعد الى السطح العلوي وأقتل هـذه المرأة المسكينة ، ثم لماذا اقتلها وبعد ذلك أهبط الى هنا دون ان يراني أحـد ،

والممرات والاسطح زاخرة بالركاب في هذا الوقت من النهار ؟ :
هذا مستحيل .

– وكيف تعلل وقوع الجريمة بمسدسك ؟
– الواقع ان الذنب في هذا ذنبي ، واللوم يقع على عاتقي وحدي ، فقد حدثت مناقشة في أول ليلة من ليالي رحلتنا عن الاسلحة النارية .. واذكر اني صرحت اثناءها أمام الجالسين في الصالون بأنني احمل دائما في أسفاري مسدسا.
– ومن كان اولئك الحاضرون ؟
– لا استطيع ان أحدد بالضبط .. ولكن كان هناك جمع كبير على كل حال ، فالذنب ذنبي كما ترى .

ثم هز رأسه في حزن ودهشة ، وقال :
. أولاً لينيت . ثم خادمة لينيت . والان السيدة اوتربورن ، الواقع انه لم يكن هناك داع ابداً لتلك الجريمة .
– بل هناك داع يا مستر بننجتون .
– أكان هناك داع حقا ؟
– نعم . فقد كانت السيدة اوتربورن في تلك اللحظة على وشك الافضاء الينا بأنها رأت شخصا معينا يدخل قمرة لويز بورجيه خادمة لينيت ، وفيما هي تهم بذكر اسم ذلك الشخص ، اطلقت عليها الرصاصة القاضية .
فتصبب العرق من جبين بننجتون، وراح يمسحه بمنديله الحريري وهو يتمتم:
– ان هذا لفظيع !

وعندئذ قال بوار :
– يا مسيو بننجتون .. ان لدي رغبة تساورني منذ الصباح في ان أتناقش معك في بعض مسائل تتعلق بهذه القضية ، ولا سيما انك صديق قديم حميم لمدام لينيت دويل ، فهل تتكرم بالحضور الى قمرتي بعد نصف ساعة ؟
– بكل سرور ..

ولكن شيئاً من السرور لم يكن بادياً على وجه المسيو بننجتون .. فتبادل ريسي وبوارو النظرات ، وغادرا الحجرة الى سطح السفينة .

ولما وصل بوارو والكولونيل ريسي الى سطح السفينـــة ، خرجت السيدة الرتون من قمرتها ، واتجهت الى بوارو قائلة :

- أليست هناك قمرة مزدوجة أقيم فيها مع الفتاة المسكينة ؟ فانهـا لا ينبغي أن تعود الى القمرة التي كانت تشارك فيها أمها ، وقمرتي كا تعلم ليس بها سوى سرير واحد .

- أعتقد أن هذا أمر ممكن ترتيبه يا سيدتي .

– شكراً .. فانني أعطف على هذه الفتاة ، فضلاً عما تفرضه ظروفها علينا من رعايتها والعناية بها .

– وهل لا تزال حزينة متأثرة ؟.

– إلى أقصى حد .. إذ يبدو انها كانت شديدة التعلق بأمها . ويعتقد تيم أن تلك السيدة كانت تدمن الشراب .. فهل هذا صحيح ؟

– نعم للأسف ..

– إذن ليس لنا أن ندينها ، ولكن لا شك أن الفتـاة قد لقيت في العيش معها متاعب كثيرة . .

– نعم ، هذا صحيح فيما أعلم .. فالفتاة شديدة الاعتزاز بنفسها . ولكنها أيضاً مخلصة وفية لأمها .

– لا ريب أن الوفاء هو الصفة الغالبة على هذه الفتاة . وقد أعجبني من هذه الفتاة أن وراء ظاهرها المتحفظ باطناً يزخر بالطيبة والحنان والعطف .

– أحمد الله يا سيدتي على انني وضعت هذه المسكينة بين أيد أمينة .

– لك أن تطمئن ، فاني معنية بها .. وهي تتعلق بي تعلقاً شديداً يبعثني على مزيد العناية بها .

وعادت السيدة الرتون بعد ذلك الى قمرتها ، فواصل بوارو السير الى مسرح

الفاجعة ، فاذا كورنيليا لا تزال واقفــة مع جاكلين على سطح السفينة وقد اتسعت حدقتاها ، فبادرته قائلة :

- لا أزال عاجزة يا مسيو بوارو عن فهم هذه المسألة ، إذ كيف تسنى للشخص الذي أطلق عليها الرصاص أن يهرب دون أن نراه ؟

وقالت جاكلين :

- نعم ، كيف حدث ذلك ؟

- هناك ثلاثة اتجاهات يمكن أن يكون القاتل قد سلك احدها ، فليس الأمر غريباً كما تتوهمان .

فظهرت الدهشة والحيرة على جاكلين ، وقالت :

- ثلاثة اتجاهات ؟

أما كورنيليا فقالت :

- كان أمامـــه أن يتجه الى اليمين ، أو الى اليسار ولا أرى لهذين الاتجاهين ثالثاً .

ولكن جاكلين أجابتها وقد انفرجت أساريرها :

- فهمت ما قصد اليه مسيو بوارو ، فهو يعني أن القاتل كان يستطيع القفز من فوق السياج إلى السطح السفلي .

- لم يخطر لي ذلك .. ولكن حتى لو كان خاطف الحركة .. فهل ينفسح أمامه الوقت للقيام بهذه المغامرة دون أن نراه ؟

وعندئذ قال تيم الرتون :

- نعم ، فهناك دائماً دقيقة على الأقل من الشلل تنتاب النــاس بعد سماع طلقة نارية .

- هل هذا ما شعرت به شخصياً ؟

- نعم ، فقد وقفت كالتمثال برهة ، قبل أن أتحرك لأرى ما حدث .

وفي هذه اللحظة خرج ريسي من قمرة الدكتور بسنر ، فقال للواقفين :

- أرجو منكم التفرق ، فاننا نريد ان نخرج الجثة

وتفرق الواقفون ، أما بوارو فمضى معهم ، فقالت كورنيليا له :

- لن أنسى ما حييت هذه الرحلة ثلاث قتلى ! لكأني أعيش في كابوس مزعج لا خلاص منه .

وسمعها فيرجيسون فقال لها بلهجة هجومية

- ذلك انك مفرطة في التحضر ، وكان ينبغي أن تنظري الى الموت كما ينظر اليه أهل الشرق ، فالموت حادث عادي لا يكاد يستلفت النظر !.

- انك تنفر النـاس منك بالهذيان بعيوب الحضارة .. ثم أن الموت شيء كريه . وموت كل جميل على الخصوص كارثة وخسارة للبشرية .

- انك امرأة صعبة المراس . والآن اسمعي يا كورنيليا روبسون ، انك الأنثى الوحيدة التي حازت اعجابي ، فهل تتزوجينني ؟

- أنت أحمق !

- هذه خطبة حقيقية ، ولو انها لم تتم بالطريق التقليدي ولكن لدينـا شاهد هو المسيو بوارو . فاشهد يا مسيو بوارو اني طلبت يد هذه الانثى رسمياً ، على الرغم من جميع مبادئي الخاصة لانني لا أومن بالاتصال الشرعي بين الجنسين . ولكنني لا أعتقد أن هذه الانثى يمكن أن ترضى باتصال عن غير الطريق الشرعي ، ولهذا قبلت الوضع الذي تحتمه الظروف . والآن يا كورنيليا قولي : « قبلت » !

- اني أعتقد انك مخبول .

- لماذا بالله لا تريدين أن تتزوجينني ؟

- لأنك لست جاداً ..

- أتعنين انني لست جاداً في طلب يدك ، او انني لست جاداً في طباعي وأخلاقي ؟

- أعني الأثنين معاً . ولكني أعني على الخصوص طبعك وخلقك ، فأنت

تسخر من كل ما هو جدي في الحياة من التربية الى الثقافة الى . الموت . فأنت انسان لا يعتمد عليه .

واحمر وجهها ثم أسرعت لائذة بقمرتها، فجعل فيرجيسون يتتبعها بنظراته ثم قال :

عليها اللعنة ! فاني أحسبها تريدني فعلاً على أن اكون رجلاً يعتمد عليه . هذا فعلاً شيء مزعج . وما رأيك انت يا مسيو بوارو في هذه الفتاة ؟

– انها فتاة على جانب عظيم من متانة الخلق .

– اصبت .. فهي ذكية . ويبدو على ظاهرها الوداعة والليونة ، ولكنها ليست رخوة ، فان شخصيتها صلدة لا تعرف اللين ، واني لأريدها بأي ثمن .. ولذلك لست ارى غضاضة في التفاهم مع خالتها العجوز فان شويلر ، فان هذا هو الطريق السليم .

– أتطمع ان تكسب ود الآنسة العانس فان شويلر حقاً ؟

أوه .. كلا ، أنا لم افكر في كسب ودها ، فذلك جهد لا فائدة منه .. وإنما طمعت ان اثيرها ضدي ، فذلك خليق ان يرقق قلب الفتاة علي .

ودار فيرجيسون على عقبية وانطلق نحو صالون المراقبة حيث كانت فان شويلر جالسة في ركننا المألوف . وكانت حصتها من المجرفة في هذا اليوم أكبر قليلاً من المعتاد ، وكانت تحيك الصوف بابرتين حينما اتجه فيرجيسون نحوها ، وفي أعقابه هيركول بوارو الذي احتل مكاناً متوارياً على بعد منها وتظاهر بالاستغراق في قراءة مجلة مصورة ، وبدأ بين الطرفين الحوار التالي :

– طاب صباحك يا انسة فان شويلر .

فرفعت فان شويلر عينيها عن الصوف لحظة واحدة لم تزدها ، ثم تحولت ببصرها الى ابرتها مرة أخرى وتمتمت بفتور .

– طاب صباحك .

– اسمعي . اني اريد أن اتحدث اليك في أمر على جانب عظيم من الأهمية

فالمسألة بالضبط انني راغب في الزواج من ابنة اختك .

فانتفضت كرة الصوف التي في حجر فان شويلر وانطلقت تجري وتقفز كالمجنونة إلى اخر الصالون ، أما فان شويلر نفسها فقالت بلهجة تقطر سما ناقعاً :

- لا بد أنك فقدت صوابك ايها الشاب .

- كلا على الاطلاق . فأنا مصمم على الزواج منها ، وقد طلبت منها يدها شخصياً منذ برهة وجيزة .

فقالت في برود :

- أحقاً ؟.. وأخالها قد صرفتك الى حال سبيلك ؟

- لقد رفضتني .. ولكني لن انصرف عن طلب يدها ولا ابرح عنها حتى تقبل .

- اؤكد لك انني سأتخذ الاجراءات اللازمة لوقاية ابنة اختي الشابة من مثل هذا التهجم .

- وماذا يحنقك علي ؟ ماذا لديك ضدي ؟

فرفعت فان شويلر حاجبيها ، وجذبت الخيط جذبة قوية تريد ان تسترجع بها الكرة ، ولم تنبس بكلمة ، فاستطرد :

- هيا خبريني .. ماذا لديك ضدي ؟

- أظن ان المسألة غاية في الوضوح يا . فأنا لا أعرف اسمك .

- فيرجيسون ..

فقالت فان شويلر بكل استياء وتأفف :

- آه . يا مستر فيرجيسون .. ان الموضوع الذي تشير اليه خارج عن نطاق البحث ولا يمكن ان يكون موضع نظر .

- أتعنين انني لست كفؤاً لها ؟..

- كنت أعتقد ان المسألة غاية في الوضوح ، حتى بالنسبة لك .

– ولماذا ترين اني لست كفؤاً لها ؟ . ان لي ساقين ، وذراعين ، وصحة من فولاذ ، وذهناً مرتباً قادراً على التفكير . فما عيب هذه المؤهلات !؟

– هناك شيء اسمه المركز الاجتماعي يا مستر فيرجيسون

– المركز الاجتماعي خرافة قديمة متعفنة !

وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخلت كورنيليا ، فوقفت كالمصعوقة عندما وجدت خالتها المرهوبة الجانب تتحدث مع خاطبها المتهجم . أما فيرجيسون فالتفت نحوها وضحك ملء شدقيه ثم ناداها :

– اقبلي يا كورنيا وابشري .. فاني اطلب يدك للزواج كما ترين على أعتق الطرق التقليدية !

فقالت فان شويلر ، وبصوت رهيب حقاً :

– كورنيليا . هل شجعت هذا الشاب ؟

– أنا .. كلا . بالطبع لا .. على الاقل .. ليس بالضبط .

– ماذا تعنين ؟

فأسرع فيرجيسون يقول كي يخرجها من المأزق :

– انها لم تشجعني على الاطلاق . وكل ما هناك انهـا لم تقف في وجهي ، وان لها قلباً رقيقاً حقاً وخالتك يا كورنيا تقول اني ادنى منك اجتماعيـاً بكثير . فهل هذا رأيك ؟

فقالت فان شويلر :

– هذا فيما أظن بديهي جداً لدى كورنيليا .

فاحمر وجه كورنيليا وقالت :

– كلا يا مستر فيرجيسون ، ليس هذا رأيي . فلو اني احببتك لتزوجتك بلا نظر الى أي اعتبار .

– ولكنك لا تحبينني ؟

– اني أعتقد انك مزعج ومثير للسخط . فان آراءك وأفكارك من أفظع

وأقبح وأشأم ما سمعت ، وان لك لزهوا بها لا يعدله زهو في تبجج سخيف !

وطفرت الدموع التى عينيها فاندفعت خارجة . اما فيرجسون فقال للانسة فان شويلر وهو يضطجع في مقعده وينظر الى سقف الغرفة ويصفر :

هذه على العموم بداية لا بأس بها . وسأستمر في مناداتك بخالتي العزيزة!

فاخذت فرائص فان شويلر ترتعد غضباً ، وصاحت :

– أخرج من هنا على الفور وإلا ناديت الخادم !

– لقد دفعت ثمن تذكرتي ، ولا تستطيعون اخراجي من قاعة عامة ومع ذلك فأني ساطيب خاطرك يا خالتي العزيزة .

ووقف ثم راح يتبختر خارجاً وهو يصفر ، وظلت فان شويلر بعد ذلك ترتعد ، وتحاول الوقوف كي تحضر كرة الصوف ، ولكنها لم تستطـــع لفرط اضطرابها ، فخرج المسيو بوارو من عزلتـــه واسرع اليها بالكرة ، فقالت له :

– شكراً لك يا مسيو بوارو ، وأرجو ان تتكرم بارسال الانسة بويرز ، فاني أشعر باضطراب مما سببه لي هذا الشاب الوقح .

– انه ملحوس قليلاً فيما اعتقد ، ومعظم اعضاء هذه الأسرة على شاكلته . انه التدليل المفسد للطباع والتربية . وأظنك عرفت شخصيته .

– عرفت شخصيته ؟

– انه يسمي نفسه فيرجيسون ، لأنه لا يريد استخدام وحمل لقبه العتيـد رعاية لمبادئه المتطرفة .

فوضعت فان شويلر يديهـــا بالصوف في حجرتهـــا ، وحملقت في وجهه قائلة :

– لقبه العتيد ؟

– طبعا ،انه اللورد داوليش الشاب . وقد ورث ملايين الجنيهات ،ولكنه اعتنق الشيوعية وهو في أكسفورد .

وإذا بصفحة وجه فان شويلر تتحول الى حلبة معركة تصطرع فيها شتى الانفعالات المتعارضة ، فلما استجمعت انفاسها وبلعت ريقها قالت :

– ومنذ متى تعرف هذه الحقيقة يا مسيو بوارو؟

– لقد رأيت له صورة في بعض الصحف وفطنت الى الشبـــه ، ثم عثرت أثناء تفتيش قمرته على خاتم له منقوش على فصه شعار اسرتـــه . والمسالة لا تحتمل الشك .

– أنا مدينة لك بالشكر على هذه المعلومات الثمينة .

ثم واتتها عندئذ القوة فنهضت خارجة وقد طفح وجهها المتعجرف بالبشر وأشرق بنور السعادة .

وهز مسيو بوارو رأسه مراراً ، ثم استغرق في التفكير .

وبعد حين ، دخل عليه ريسي فوجده ما يزال جالساً في موضعـــه ، فقال له :

– والآن يا بوارو لم تبق إلا عشر دقائق ويحضر بننجتون لمقابلتك كما طلبت اليه ، وساتركه لك .

فنهض بوارو واقفا وقال

– ولكن أرجو ان تحضر اولاً فانثورب الى قمرتي

وأسرع ريسي ليبحث عن فانثورب . أما بوارو فاتجه نحو قمرته الخاصـة حيث وافاه ريسي ومعه فانثورب بعد دقيقـــة او دقيقتين . فأشار بوارو الى مقعد احتله الشاب ، وقدم اليه سيجارة وقال :

– والآن يا مسيو فانثورب لندخل في الموضوع . لقد لاحظت انك تلبس رباط عنق من النوع الذي يرتديه صديقي السير هاستنجس وذلك النـوع من أربطة العنق لا يلبسه في بريطانيا كل انسان ، بل السادة المهذبون ذوو المكانة والتربية الحسنة . وهناك فيما أعلم تقاليد بين تلك الاوساط ، تقضي بفعل أشياء والامتناع عن أشياء أخرى ، ومن يلبسون هذا النوع من أربطـــة

الرقبة لا يمكن ان يقحم الواحد منهم نفسه في حديث خاص مع أشخاص لم يعرفهم ، وبغير سؤال يوجه اليه .

فدهش فانثورب ، وأردف بوارو ·

« لا .. ولكنني منذ أيام رأيتك بنفسي تقدم على هذه الهفوة وقدكان جماعة من الركاب جالسين في الصالون يتحدثون حديثا خاصا جداً في مسائلهم المالية ، وإذا بك تتسلل حتى تقف بالقرب منهم ، بقصد استراق السمع ، ثم إذا بك تتجاوز ذلك الى توجيه اطراء صريح الى سيدة هي مدام ليفيت دويل لما تتمتع به من فطنة في ادارة الاعمال » .

فامتقع وجه فانثورب ثم احتقن. ولكن بوارو لم يأبه له ، بل استطرد

– والآن يا مسيو فانثورب ، لم يكن هذا التصرف مما يتفق مع ربطة العنق التي يرتديها مثلها صديقي السير هاستنجس ، فان السير هاستنجس رجل مهذب لبق رقيق يموت وجلا وخزيا ولا يقدم على مثل ذلك الذي اقدمت عليه ، هذه واحدة .. وواحدة اخرى انك شاب حديث عهد بالمحاماة ، فلم تؤسس لنفسك فيها مركزاً يسمح لك بقضاء مثل هذه الاجارة الباهظة التكاليف .. ومتى ؟ في أبان الموسم القضائي في فصل الشتاء

يضاف الى ذلك انك ملحق بمكتب للمحاماة في الريف ، فلا يحتمل أن تكون أتعابك أو مرتبك كافيا لهذه المظاهر ، ولا يبدو عليك أثر مرض حديث العهد حتى نقول انك اتيت الى هنا للنقاهة عملا بمشورة الاطباء . وقد تساءلت ، وها أنذا اسألك لماذا ولأي غرض قمت بهذه الرحلة النيلية الى وادي حلفا ؟

فطرح جيم فانثورب رأسه الى الوراء في تحد ، وقال

– اني أرفض أمدادك بأي معلومات يا مسيو بوارو ، وأعتقد انك لا بد في الواقع ان تكون مجنونا

– انني لست مجنونا ، بل اني عاقل جداً . والآن أساعدك قليلا على

توضيح موقفك فأقول : اين يقع المكتب الذي تنتسب اليه ؟ انه يقـــع في نورثامبتون، وهو مكان غير بعيد من قصر وودهول . وما هو موضوع الحديث الذي اجتهدت في استراق السمع اليه ؟ انه وثائق تمليك وما الى ذلك ، ومـا هي الملاحظة التي أطريتها ؟ - ولا يفوتني ان أقول انك كنت مرتبكاً جداً وأنت تفعل ذلك لشعورك بالحرج - انها ملاحظة من شأنها منع لينيت دويـل من توقيع أي وثيقة بدون قراءة . وفوق هذه السفينة وقعت جريمة قتل ، تلتها جريمتان في سرعة فائقة . فاذا أضيف الى ذلك ان السلاح الذي قتلت به مدام اوتربورن هو المسدس الخاص بالمسيو بننجتون ، فلعلك ترى من واجبك الآن ان تطلعني على ما لديك من معلومات ، مساعدة للعدالة .

- الواقع ان لك طريقة غريبة يا مسيو بوارو في تناول الأمور، واني مقدر لدقة المسائل التي أشرت اليها ، ولكن ليس لدي مزيـــد من المعلومات الأكيدة أضيفه الى ما لديك .

- اتعني ان ما لديك محض ظنون وشبهات ؟

- ذلك ما اعنيه فعلاً

- ولهذا تعتقد انه من غير المناسب ان تفصح عنها ؟ ان ذلك قـد يكون صحيحاً في ساحات المحاكم يا سيدي المحامي . أمـــا هنا ونحن نقوم بتحقيق للكشف عن سر الجريمة . فكل شعاع صغير من الضوء يجب ان ينال حظه من التقدير ، حتى نصل الى اليقين .

- أظنك على صواب .. فما الذي تريد معرفته يا مسيو بوارو ؟

- ما الدافع لك للقيام بهذه الرحلة ؟

ان خالي مستر كارمايكل هو المحامي الانجليزي الذي يتولى قضـايا لينيت دويل في بريطانيا . وهو الذي ارسلني في هذه الرحلة ، لانه لاحظ في المـدة الأخيرة أشياء بعثته على الارتياب في الوصي الامريكي المستر بننجتون ، فلما تزوجت الانسة لينيت من المستر سيمون دويل فجأة ، وبدأت على الفور رحلة

شهر العسل في طريقها الى مصر ، أطمأن خالي الى انه بمجرد عودتها الى انجلترا ستتسلم أموالها من يد أوصيائها ، وفي ذلك قضاء على ما كان يساوره من شكوك . ولكنه تسلم خطاباً من لينيت دويل بعثته اليه من القاهرة ، وردت فيه عرضاً اشارة الى انها التقت مصادفة هناك بوصيها الامريكي مستر بننجتون فثارت شكوك خالي من جديد . ورسخ في ذهنه ان بننجتون ربما أقدم على هذه الرحلة المريبة مدفوعا باليأس الذي أوقعه فيه زواج السيدة المفاجىء . وخشي – بل ايقن – ان تلاعبه وسوء ادارته للتركة سينكشف ، ومن شأن اليائس ان يقدم على عمل جنوني فلا يتورع عن شيء ، وأحب خالي ان يتبين الحقيقة ، ولم يشأ ان يرسل في هذه الرحلة شخصاً تعرفه السيدة فوجد من الأصوب ان يرسلني انا بالطائرة . وأعطاني تعليمات مشددة بوجوب الحذر والحيطة وعمل كل ما في الوسع للحيلولة بين بننجتون والحصول على توقيعات من لينيت دويل على وثائق بغير فحص كاف . هذا كان سبب حضوري ، وهو أيضاً سبب هذا المسلك الذي اشرت اليه . والواقع اني اضطررت الى ذلك وأنا في أشد حالات الارتباك والحرج ، ولكني غير نادم ، لأنني ظفرت بالثمرة التي كنت ارجوها .

– أتعني انك وفقت الى تحذير لينيت ؟

ليس هذا بالضبط ، فلم تكن في الواقع بحاجة الى مزيد من التحذير او الحيطة . ولكني بملاحظتي نبهت بننجتون الى ان هناك من يقف له بالمرصاد ، وبذلك غير خطته وعدل عن الحصول على توقيعاتها وكنت اعتزم في الواقع القيام بتحذير واضح ولكن تبين لي ان بننجتون له منزلة خاصة تشبه الأبوة لدى لينيت دويل ، فقام بذهني ان اتصل لهذا الغرض بسيمون دويل ، لأنه أسهل تناولاً عن زوجته

– والآن هل لك ان تجيبني عن سؤال شخصي بحسب رأيك وتقديرك ؟ إذا أراد نصاب ان يفوت شيئا على آل دويل ، فمن هو الذي يختاره فريسة

سهلة ؟ أهو مستر سيمون دويل ؟ أم زوجته ؟

– مستر دويل طبعا . فقد كانت لينيت دويل حصيفة حريصة اما زوجها فهو ساذج يجهل أصول ادارة الأعمال ولا يمتنع عن التوقيع حيث يطلب منه دون مناقشة او تمحيص

–هذا رأي صائب .. وذلك فيما أظن دافع حسن للقتل .

– ربما ، ولكن ليس لديك دليل .

بل يمكننا الحصول على الدليل .

ممن ؟ وكيف ؟

– من بننجتون نفسه .

– اني أشك في هذا كثيراً

– اننا ننتظر قدومه الآن على كل حال يا مستر فانثورب .

فأدرك فانثورب مغزى هذه لاشارة ، واستأذن منصرفا ، وبعد دقيقتين ظهر مستر اندرو بننجتون ، والابتسامة تملأ صفحة وجهه ولكنها كانت ابتسامة متكلفة ، وبعد ان حيا ، جلس ثم تطلع الى بوارو والكولونيل ريسي متسائلا ، فقال بوارو :

– لقد طلبنا اليك الحضور يامستر بننجتون لأنه من الواضح ان لك مصلحة كبيرة في هذه القضية ، فانت تعرف لينيت دويل فيما أعتقد منذ كانت طفلة .

– الحقيقة اني عرفتها – كما قلت من قبل – منذ نعومة أظفارها .

– وهل كنت صديقا صميما لوالدها ؟

– بلا ريب كنا على اتصال وثيق وصداقة متينة .

–الى درجة انك عينت في وصيته وصيا على ابنته وعلى ثروتها الطائلة ؟

– هذا كله صحيح اجمالاً . ولكني لم اكن الوصي الوحيد طبعا ، بل كان معي في تلك المهمة شركاء .

– ماتوا جميعا بعد ذلك . وبقيت انت وحدك .

– مات اثنان منهم ، وبقي على قيد الحياة المستر روكفورد

– شريكك في المكتب وفي التجارة ؟

– نعم . .

– وأعتقد أيضا ان الانسة لينيت ريدجواي لم تكن قد بلغت سن الرشد حين تزوجت فجأة ؟

– انها لم تكن لتبلغ الحادية والعشرين إلا في يوليو المقبل .

– ولو سارت الأمور على ما هي عليه .. لما حق لها ان تتسلم ثروتها قبل ذلك التاريخ ؟

– نعم .

– ولكن زواجها المفاجيء غيّر مجرى الأمور وقلب الأوضاع .

– بربكما ما هذا الذي تهدفان اليه من كل هذه الأسئلة ؟

– أنك رجل ذكي يا مستر بننجتون . فهناك مسألة الدافع الى الجريمة ، ولا يمكن اغفال الاعتبارات المالية عند معالجتها .

– ان وصية ريدجواي تنص على ان تتسلم لينيت ثروتها عند بلوغها الحادية والعشرين ، او بمجرد زواجها إذا تزوجت قبل ذلك التاريخ بلا قيد ولا شرط.

– وثروتها تقدر بالملايين فيما أعتقد ؟

– نعم تقدر بالملايين .

وأعتقد يا بننجتون ان مسؤولياتك أنت وشريكك كانت ثقيلة جداً في هذه السنوات .

– نحن متعودان على المسؤولية في عملنا ، فلا يركبنا بسببها القلق .

– اني لأعجب مما تقول !

– ماذا تعني بحق الشيطان .

– ان عجبي راجع الى تقديري ان ذلك الزواج المفاجيء لا بد قد احدث ارتباكا في خطط مكتبك

– ان اعمال المكتب على اكمل وجه .

– ألم يتملكك الانزعاج عندما وصلت اليك انباء زواج لينيت ريدجواي، حتى انك أقلعت بأول باخرة الى مصر حيث تصنعت الالتقاء بها على وجه المصادفة

– ان ما تقول هو الهذيان بعينه يا مسيو بوارو ! فانني لم أكن أعلم بزواج لينيت قبل وصولي الى القاهرة ، ولذلك دهشت دهشة تامة ، ولا بد أن خطاب لينيت وصل الى نيويورك بعد سفري، وقد حول إلي فتسلمته بعد اسبوع في القاهرة .

– تقول انك حضرت على ظهر الباخرة كارمانك ؟

– هذا صحيح

– وإن الخطاب وصل الى نيويورك بعد إقلاعها منها؟

– لقد كررت هذا مراراً من قبل .

– ان هذا لمن أعجب العجب ! فان حقائبك لا تحمل أي بطاقة من بطاقات كارمانك، بل بطاقات الباخرة نورماندي التي أبحرت من نيويورك بعد ابحار كارمانك بيومين !

فظهرت الحيرة على وجه بننجتون ، وبدأ يترنح .. فاستطرد بوارو قائلا :

لا جدوى من الانكار . انت اذن قد تسلمت خطاب لينيت ريدجواي في نيويورك .

– يبدو انه ليس أمامي الآن الا التسليم ، فقد غلبني ذكاؤكما على أمري ، ولكن الواقع انه كانت لدي دوافع كافية لسلوك هذا المسلك أيها السادة

– ونحن على أشد ما يكون من اللهفة لمعرفة هذه الدوافع .

– يسوؤني في الواقع ان أقول انني لاحظت في المدة الأخيرة شيئاً من الاضطراب المريب في أعمال لينيت التي يتولاها محاميها في انجلترا ، وعلت

النفس بقرب بلوغها سن الرشد ، ولكنني فوجئت بذلك الزواج المباغت من رجل انجليزي مجهول ، فعولت على اكتشاف الحقيقة بنفسي ، بغير إزعاج للينيت ، ولم أجد من اللائق ان اقحم عجوزاً مثلي على شهر عسل شابين لأسباب مالية بعيدة كل البعد عن ذلك الجو العاطفي ، ولم يهدني تفكيري الى خير من هذه الطريقة في اصطناع الصدفة ، فدوافعي جميعاً نزيهة بعكس ما ذهبتما اليه .

– الحقيقة يا مسيو بننجتون اننا لا نصدق حرفاً واحداً من كلامك !

– تصدقان او لا تصدقان سيان !

– اننا نعتقد ان زواج لينيت المفاجيء أطاش صوابك لاضطراب إدارتك المالية لتركتها ، فقررت الحضور على عجل للبحث عن مخرج لك بأي شكل ، وفكرت في الحصول على توقيعها على وثائق أعددتها لهذا الغرض ، معتمداً على ان انشغالها بشهر العسل سوف يمنعها من التدقيق في الاطلاع على الوثائق قبل التوقيع ، فلما خاب أملك ، افتعلت سقوط الصخرة ونحن على الشاطىء أمام معبد أبي سنبل كي تسحقها ، ولكنها نجت بأعجوبة .

– انت مخبول !

– وقد سمحت لك ظروف اخرى بالقضاء على لينيت دويل في أثناء العودة من وادي حلفا بحيث تلقى الشبهة على شخص آخر . وقد ثبت لنا يقيناً أن مسدسك هو الذي انطلقت منه الرصاصة التي قتلت سيدة وهي على وشك الافضاء باسم قاتل لينيت ، ثم لويز .

وعندئذ ثارت ثائرة بننجتون وصاح :

– ما هذا الهذيان ؟ وأي سبب يدعوني لقتل لينيت ؟ اني لا أطمع في أن أرثها حتى أقتلها ، بل يرثها زوجها ، فلماذا لا تأخذان بخناقه ؟

– إن سيمون دويل لم يغادر الصالون طول السهرة التي قتلت خلالها

زوجته ، ثم بعد ذلك رقد سائر الليل مكسور الساق محقوناً بالمورفين في قمرة الدكتور بسنر ولهذه الاعتبارات جميعاً يستحيل ان يكون هو قاتل زوجته .

وأنت اذا استخدمت ذكائك ، وكنت في مكاني يا مستر بننجتون ، وجدت ان الزوج الوارث الطيب القلب الذي يوقع الأوراق دون تمحيص أسلس قياداً من الزوجة الذكية الحصيفة .. فمن مصلحة الوصي المتلاعب المختلس المبدد ان تموت الزوجة ويرث الزوج مالها ليوقع الأوراق التي ما كانت لتوقعها هي ، وبذلك يحصل الوصي على تسوية لحساباته تنقذه من السجن والافلاس ، وان كانت نتيجتها خسارة قد تصل الى مئات الألوف تتحملها تركة ريدجواي ويضاف الى ذلك ان سيمون دويل يجهل كل شيء عن أعمال زوجته المتشعبة وممتلكاتها ، فهو خليق ان يطلق يدك في إدارة التركة كما كنت .

وعندئذ هز بننجتون كتفيه ، ثم قال :

– اقسم انني تعثرت ، فاذا الحجر يسقط بالمصادفة ، وليس هناك أي إثبات ضدي .

– ربما ..

فنهض وقد عاوده شيء من التجلد ، ثم خرج .

الفصل التاسع

طرف الخيط

ما ان انصرف بننجتون حتى تطلع الكولونيل ريسي الى وجـه بوارو ، وقال له :

– ألديك فكرة عما يجب أن نعمله بعد ذلك ؟

– نعم .. فلدينا أولاً ما حدث في حديقة أسوان ، ثم شهادة تيم ألرتون ، ثم زجاجتا طلاء الأظافر ، ثم زجاجة نبيذي أنا ، ثم الشال القطيفة ، ثم المنديل الرخيص الذي به أثر الطلاء الأحمر ، ثم المسدس الذي ترك في مكان الجريمة ، ثم وفاة لويز ، ثم وفاة مدام أوتربورن

– وبناء عليه ؟

– بناء عليه لم يقترف بننجتون أي جريمة يا ريسي !

– ماذا تقول ؟

– أقول أن بننجتون لم يقترف الجريمة . أجـــل كان لديه دافع قوي ، وكانت لديه رغبة قوية وصلت به الى حد المحاولة أمام معبد أبي سنبل ، ولكن الى هنا وينتهي دوره ، فان اقتراف هذه الجريمة كان يلزم له شيء لا يتوافر لدى بننجتون..

– وما هو ؟

- تحتاج هذه الجريمة الى جسارة ووقت وسرعة ودقة في التنفيذ وحيطة وشجاعة وعدم مبالاة بالخطر وإحكام للخطة ، وصاحبنا بننجتون ليست لديه هذه الصفات . فاذا قدرنا ان الجريمة لم تكن مأمونة العاقبة ، بل محفوفة بالخطر مهددة بالافتضاح في أي لحظة ولأي سبب خارج عن ارادة مرتكبها ، عرفنا مبلغ حاجة مدبر الجريمة لاتصافه بالشجاعة . وليس بننجتون بالرجل الشجاع المقدام .

- يخيل الي يا بوارو ان القضية كلها أصبحت واضحة مرتبة في ذهنك ، اليس كذلك ؟

- أظن ذلك ، فيما عدا بعض ثغرات .

- ما هي ؟

- أعني تلك البرقية التي قرأتها لينيت دويل .

- اي والله ، لقد نسينا ان نسأل سيمون ، بل انه كان على وشك أن يخبرنا بمضمونها حينما اقتحمت علينا الغرفة السيدة أوتربورن المسكينة ، فيجب أن نعيد سؤاله .

- ولكن يجب أولاً ان أتحدث الى تيم الرتون فوراً .

وما هي إلا لحظات حتى كان الكولونيل قد عثر على تيم ألرتون وجاء به ، فقال له بوارو :

- ان كل ما أريده منك الآن أن تصغي الى ما أقول .

- اذن فقد وجدت من تريد ، فاني احسن خلق الله إصغاء .

- عظيم ، والآن لنبدأ .. حينما التقيت بك وبوالدتك في أسوان ، راقتني صحبتكما كثيراً ، لأنني أولاً وجدت في والدتك شخصية من ألطف الشخصيات التي التقيت بها في حياتي ولكن كان هناك سبب آخر لمداومة الجلوس اليكما، هو ان إشارتك الى احدى السيدات في تلك المقابلة الأولى قد أثارت اهتمامي . وأعني بها الآنسة جوانا ساوثوود .

ولعلك تتساءل : لماذا أهتم بها ؟ الحقيقة هي انني في السنوات الثلاث الأخيرة عرفت ان حوادث سرقة للجواهر الثمينة قد وقعت في مجتمعات لندن ، وقامت لها إدارة سكوتلانديارد وقعدت ، واتضح ان هذه السرقات تقومَ بها عصابة ، وبوسيلة لا تتغير قوامها إبدال الجواهر الثمينة بشبيهة بها متقنة التقليد، وتدل جميع الظروف على ان من يقومون بهذه العمليات أشخاص ممن يحتلون مراكز اجتماعية طيبة ثم اتجهت ظنون صديقي كبير المفتشين الجنائيين الى الآنسة جوانا ساوثوود ، فقد كان جميع ضحايا هذه السرقات إما من أصدقائها أو معارفها .

واتضح في جميع الأحوال ان الآنسة اما ان تكون قد تناولت الجواهر المسروقة قبل ذلك بيدها لمشاهدتها ، أو تكون قد استعارتها بعض الوقت ، وتبين أيضاً ان مستوى معيشتها ونفقاتها يتجاوز طاقة دخلها الخاص بكثير ، ولكن كان واضحاً ايضاً ان عملية الابدال نفسها لا تتم بيدها شخصياً ، ففي بعض الأحوال يتفق غيابها عن انجلترا في المدة التي لا بد ان تكون عملية الابدال قد تمت فيها ، وشيئاً فشيئاً تكونت صورة تامة لهذه العمليات في ذهن صديقي كبير المفتشين وبمقتضى هذه الصورة تكون الآنسة جوانا عضواً في جماعة « تعاونية » لسرقة الجواهر عن طريق الابدال.فهي التي تتيح للشركاء تقليد الجواهر ذلك التقليد المتقن .. أما عملية الابدال نفسها فيقوم بها عضو آخر من أعضاء العصابة ، يكون من الثابت المقطوع به انه لم يمسس الجواهر الأصلية ،ولكن صديقي كبير المفتشين لم تكن لديه اي معلومات تحدد له شخصية ذلك الشريك المجهول .

وقد لفتت نظري في حديثك سقطات ، منها الخاتم الذي فقدته تلك السيدة في جزيرة ماجوركان ، وانك كنت حاضراً في الحفلة التي اكتشفت فيها حقيقة جواهر احدى السيدات ، وكيف انها جواهر مزيفة ، فاذا أضيف ذلك الى صلتك الوثيقة بالآنسة جوانا رغم نفور والدتك الظاهر منها ، وانك تضيق

بصحبتي ، وكثيراً ما ضغطت على والدتك كي تصدقني فقد حاولت أن أستكشف ما وراء ذلك ، واذا بنـــا نعلم بعد مقتل ليليت دويل أن لآلئها الثمينة قــد سرقت وحل محلها تقليد متقن لهــا . فاتجه ذهني اليــك ، وعلمت انك انت الذي قمت بهذه العملية بعد أن زودتك الآنســة جوانا بالعقد المزيف .

وتريث بوارو برهة وهو يحدق في تيم ، فاذا بالشاب وقد اكفهر وجهه حتى حاكى وجوه الموتى ، ولكنه تحامل على نفسه وسأله :

– وإذا كان ذلك صحيحاً .. فماذا صنعت بالعقد الصحيح ؟

– لست أجهل ماذا صنعت به ، هناك مكان واحد تستطيع أن تخفيــه فيه ، وقد هداني تفكيري اليه ، فهذه اللآلىء يا مسيو ألرتون مخبأة داخل حبات المسبحة ذات الحبات الخشبية الكبيرة المجوفة المنقوشة المعلقة في قمرتك ، وقد استعملت بانبوب السيكوتين الموجود لديك كي تتم تلك العملية ، وقد حرصت وانا أفتش الحجرة على ان أبحث عن الوسيلة التي أرسلت اليك بواسطتها الآنسة جوانا ساوثوود العقد المزيف ، فعثرت بكتاب ضخم وصل اليك بالبريد الأخير من لندن ، وقد نقبت صفحاته نقباً كبيراً من وسطها ، فصارت كالصندوق المحكم ، وقد تأكدت من الحديث معك ومع والدتك أن الكتب تصلك بالبريد دون أن تفتحها الجمارك ، لأنها تكون مفتوحة من أعلى وأسفل عند الشحن .

وساد الصمت لحظة ، ثم بلع تيم ريقه وقال بصوت متحشرج :

– لقد كانت الخطة محكمة ، وكانت تؤتي ثماراً طيبة باستمرار ، ولكنك هتكت استارها اخيراً ، ولم يبق أمامي الا أن أتجرع دوائي .

– ولكن هل تدرى انك شوهدت تلك الليلة ؟

– ماذا تقول ؟ من الذي شاهدني ؟

– شاهدك انسان وأنت خارج من قمرة لينيت دويل تلك الليلة بعد الساعة الواحدة صباحاً .

فقفز تيم مرتعداً وهو يقول :

– لا أظنـك تتهمني بقتلهـا ؟ اقسم لك انني لم أقتلها ، لقـد كنت في اشد حالات العذاب منذ علمت بمصرعها ، وكنت أسب سوء طالعي الذي جعلني اختار تلك الليلة من دون الليالي جميعاً لإتمام العملية ، يا إلهي ! كم قاسيت !

– أصدقك .. لكن اريد منك ان تساعدنا ما دامت الحقيقة قد عرفت .. فهل كانت مدام دويل حية أم ميتة حين كنت في قمرتها ؟

– لست ادري . وأقسم بالله انني لا ادري .. فقد تسللت الى موضع الجواهر بغاية الخفة فاختلستها ، ووضعت العقـد الآخر في مكانها وأنا أظن طبعـاً انها نائمة .

– وهل سمعت تنفسها ؟.. انك طبعاً حاولت أن تتسمعه ، فهل سمعته ؟

فجعل تيم يفكر قليلاً ثم قال :

– كان الصمت سائداً الى أقصى حد ، كلا ، لا اذكر انني سمعت تنفسها وانا هناك .

– هل كانت هناك رائحة كرائحة الدخان في جو الحجرة ؟

– لا اظن .. لا اذكر .

– اذن نحن للأسف لم نتقدم في بحثنا

– ولكن من الذي رآني تلك الليلة خارجاً من هناك ؟

– روزالي اوتربورن .. فقد كانت على سطح السفينة من تلك الجهة حين رأتك تخرج من هناك وتتسلل الى قمرتك ..

– اذن هي التي وشت بي .

– كلا انها لم تتعرف عليك
اذن كيف عرفت ؟
– لانني هيركول بوارو ، فلا حاجة بي الى ان يخبرني احد وعندما واجهتها بما عرفت اصرت على الانكار
– ولكن لماذا ؟
– ربما لأنها ظنت ان الذي رأته هو القاتل ، وهي معذورة في ذلك الظن .
– وهذا سبب ادعى لأن تخبرك عني .
يظهر ان هذا ليس رأيها في المسألة .

فهز تيم ألرتون كتفيه ثم قال
- لقد أوقعتني في الفخ ، وستجد اللآليء حيث ذكرت ، ولكني لا أعترف على الانسة ساوثوود بأي شيء ، وليس لديكم اي دليل ضدها ، أما كيف حصلت على العقد المزيف ، فذلك شأني وحدي .
– تصرف سليم كريم . ولكن انتظر لحظة حتى أبعث في طلب الانسة روزالي أوتربورن ، نعم لا مناص من هذا .

وبعد لحظة كانت روزالي قد حضرت وقد تورمت عيناها من كثرة البكاء ، فلما أبصرت تيم ألرتون هناك اتسعت حدقتاها بعض الشيء ، ثم جلست تنقل بصرها بين بوارو وريسي ، ثم قال بوارو :

- اضطررنا الى إزعاجك ، للأسف الشديد ، كي نستوضح بعض النقط ، فعندما سألتك هل رأيت أحداً في تلك الليلة أجبت بالنفي ، ولكنني تمكنت لحسن الحظ من الوصول الى الحقيقة عن غير طريقك ، وقد اعترف المسيو ألرتون بأنه كان في قمرة لينيت دويل في تلك الليلة ، اليس كذلك يا مسيو ألرتون ؟
وعندئذ صاحت روزالي مأخوذة

- ولكنك لم . لم ..

- نعم ، لم اقتلها ، أنا لص ، ولكني لست قاتلا ، وسيفتضح كل شيء بعد قليل ، فلا ضير في أن تعرفي أنت أيضاً . لقد كنت أسرق جواهرها ، هذا هو تخصصي .

وعندئذ قال بوارو :

- إن رواية مسيو ألرتون تقوم على انه تسلل تلك الليلة الى مخدع مدام دويل ، فأخذ العقد النفيس ووضع مكانه عقداً مزيفاً يشبهه كل الشبه ، وتتفق هذه الرواية مع شهادتك وشهادة الانسة فان شويلر - من حيث التوقيت - اتفاقاً جزئياً ، فالاتفاق خاص بوجوده في ذلك الوقت هناك . ولكن ليس هناك دليل على غرضه من تلك الزيارة المريبة ، فمن يدرينا انه لم يقتل مدام دويل في سبيل الحصول على جواهرها ، وربما فعل ذلك مضطراً لأنها تنبهت لوجوده ، فهناك فرض لا بأس به نظرياً ، خلاصته انه ربما شهد خلسة منظر المشاجرة بين جاكلين دي بلفور وسيمون دويل في الصالون ، فلما سنحت الفرصة التقط مسدسها من تحت المقعد ، واقترف به الجريمة .

فشحب وجه تيم ألرتون وكاد يغشى عليه ، فأردف بوارو موجهاً الحديث اليه :

- ولكن فتاة رأتك ، فتاة اخرى غير الانسة أوتربورن ، هي الخادمة لويز ، وفي الصباح ذهبت اليك وهددتك بالفضيحة اذا لم تدفع اليها مبلغاً كبيراً ، فتظاهرت بالقبول ، ووعدتها بزيارتها في قمرتها عندما يدق جرس الغداء ، وذهبت اليها بالمبلغ . وفيما هي تحصيه طعنتها في قلبها فقتلتها ، بيد ان سوء الحظ لازمك ، فقد رأتك امرأة اخرى وانت خارج من قمرة الخادمة ، هي السيدة أوتربورن .

وتحتم عليك مرة اخرى ان تبادر بالعمل ، قبل ان تبلغ هذه السيدة

عنك . وكنت قد سمعت من بننجتون انه يحمل معه في جميع أسفاره مسدساً ضخماً ، فأسرعت الى قمرته واستوليت على المسدس ووقفت تتسمع عند باب قمرة الدكتور بسنر ، وفي اللحظة المناسبة صرعت مدام أوتربورن برصاصة صائبة .

فصرخت روزالي أوتربورن :

– كلا . كلا ، انه لم يقتلها ، ليس هو القاتل ..

– ثم أقدمت بعد ذلك على المسلك الوحيد الذي كان أمامك أن تسلكه : فقد درت حول مؤخرة السفينة ، فلما جريت انا في ذلك الاتجاه ، درت على عقبيك وتصنعت انك قادم من الجهة الأخرى وكنت قد أطلقت المسدس بقفاز ، كان في جيبك في ذلك الوقت ، فأخرجته عندما طلبته منك .

– اقسم بالله العظيم انه ليس فيما قلت حرف واحد صحيح !

وعندئذ فطنت روزالي الى الحقيقة ، فهدأت روع تيم قائلة :

– هذا طبعاً غير صحيح ، والمسيو بوارو يعرف هذا ، ولكنه يقول ذلك الكلام لغرض في نفسه .

– الحق ان الانسة شديدة الذكاء فأنا أعلم فعلاً ان هذا غير صحيح ، ولكن أليس هذا الفرض معقولاً وكفيلاً بالاطباق على عنقك يا تيم ألرتون ؟ والان سأقول لك شيئاً لم تسمعه من قبل اني لم أفحص مسبحتك حتى الان ، وربما اذا تركتك الان ربع ساعة او نحو ذلك ، وذهبت لأفحصها لم أجد بداخلها شيئاً ، ولما كانت الانسة روزالي لا تزال مصممة على انها لم تر احداً تلك الليلة ، فقد انهدمت جميع الأدلة التي تدينك ، وسيقال أن الشخص الذي سرق اللاليء سيدة عجوز مصابة بداء السرقة ، وان الجواهر قد أعيدت بسلام الى هذا الصندوق الذي قد يروقك أن تأخذه معك انت

والآنسة كي تفحصا العقد الذي بداخله معاً في الربع الساعة القادمة خارج هذه القاعة !

فوثب تيم ألرتون وصاح :

– شكراً لك ! لقد منحتني فرصة الحياة !

وبسرعة البرق جذب روزالي من ذراعها وحمل الصندوق الصغير ثم خرجا من القاعة ، فلما صارا وحدهما قال تيم لروزالي :

– ان الرجل طيب القلب جداً ، وعندما نعيد هذا الصندوق اليه سيكون بداخله العقد الصحيح بدلاً من هذا العقد المزيف

– ولكن لماذا فعلت ذلك .

– الفراغ ، والسأم .

– ولكنك لن تقدم على ذلك مرة اخرى .

– طبعاً . ولكن لماذا أبيت ان تذكري انك رأيتني ؟

– لأنهم قد يظنونك القاتل .

– أولم تظنينني اني القاتل ؟

– كلا .. ما ظننت لحظة انك تقتل أحداً .

– صدقت .. فلست قاتلاً ضارباً ، بل سارقاً جباناً .

فوضعت يدها فوق فمه وقالت :

– لا تقل ذلك .

فقبل تلك اليد ، وقال

– أنت تعرفين من أنا ، فأنت وحدك المطلعة على السر ، فهل تقبلين . أنت تعرفين ماذا أعني ؟ أم تراك ستحتقرينني ؟

– ولماذا أحتقرك ؟ إن كلاً منا يحمل عيوبه فوق جبينه ، ومن منا لا ذنب له ولا وصمة ؟ ولكن هذه المدعوة جوانا ؟

– إنك كوالدتي في هذا الأمر ، فهي تظن أن بيننا شيئاً مع أن كل ما

بيننا صلة عمل ، انقطعت منذ الآن

- لا لزوم لأن تعرف والدتك عنك شيئاً .

- لست أدري .. إذ يخيل إلي إنني يجب أن أكاشفها بالحقيقة ، وهي خير من يحتمل الصدمات بشجاعة ، وسيسرها انني قطعت علاقاتي بجوانا ، وسيسرها أكثر من ذلك ان تتأكد انها كانت علاقات عمل ليس إلا .

وفي ربع الساعة التالي كانت روزالي قد أفضت إلى السيدة ألرتون بخطبتها إلى تيم ، فراحت السيدة العجوز تقبلها بسرور ، لأنها كانت قد تعلقت بها كثيراً ، أما تيم فكان معتكفاً في حجرته منكباً على استخراج حبات العقد النفيس وأعادتها الى مكانها من الصندوق .

الفصل العاشر

هذا هو القاتل

أخذ بوارو يقنع الكولونيل ريسي – بعد أن تركهما وحدهما تيم الرتون وروزالي بالاغضاء عن ذلك التساهل الذي تورط فيه مدفوعاً بعطفه على روزالي التي أصبحت ولا معين لها في الحياة ولا سند ، وكان يعلم انها تحب ذلك الشاب حباً تكتمه عن جميع الناس .

فقال له ريسي : دعك من هذا .. انني أعتقد انك تعرف من هو القاتل .. ولكنك تمتحن صبري امتحاناً عسيراً أولست تعرفه بربك ؟

– بل أعرفه .. ولكني أريد أن استوثق أولاً بشكل قاطع .

– هيا بنا نستعرض النتائج .. فلدينا أولاً من الدلائل ما يؤكد بأن بننجتون ليس هو القاتل ، وهو كذلك ليس الرتون ، وهو ليس فليتوورد .. فمن هو إذن ؟

وفيما كان بوارو يفتح فمه ليجيبه ، دوى طرق قوي على باب الحجرة ، ثم دخل الدكتور بسنر ومعه كورنيليا التي صاحت :

– لقد عرفت الآن فقط من الآنسة بويرز بمأساة خالتي وأصابتها بما يسمونه داء السرقة ، فعظم ذلك على نفسي وقد دفعها إلى مصارحتي انها لم تعد تستطيع

احتمال المسؤولية وحدها ، ولم اصدقها في مبدأ الأمر ، ولكن الدكتور تفضل فشرح لي الموضوع شرحاً علمياً وافياً مبيناً صلة هذا المرض باختلال الأعصاب . ولكني مشفقة أن تذاع هذه الوصمة ، فلا يستطيع أهلي رفع رؤوسهم بعد ذلك أمام الناس

فقال ريسي وهو ينظر بنظرة جانبية إلى بوارو :

– لقد قر رأينا على تكتم هذا الموضوع ، فاطمئني ولن يذاع على الناس إلا ما يتصل بجرائم القتل .

وعندئذ قال الدكتور بسنر بلطف لم يتعهد فيه :

– ان لها قلباً رقيقاً جداً .

– أوه يا دكتور ، ليس لي قلب رقيق ، ولكن حسب ظنك وجميل رأيك .

وتضرج وجهها حياء ، فنظر اليها بوارو بخبث وقال :

– ألم تري فيرجيسون في الساعات الماضية ؟

– كلا .. ولكن خالتي ماري حدثتني كثيراً في الساعة الماضية عن مزاياه ، فهي تقول انه عريق المنبت .

– وما رأيك أنت ؟

– رأيي انه انسان مخبول !

فاتجه بوارو الى بسنر وسأله عن حال مريضه سيمون دويل ، فقال له :

– ان حرارته قد ارتفعت شيئاً ما ، ولكن بنيته القوية ستساعده ولا شك على المقاومة ، وان كانت جاكلين دي بلفور شديدة القلق عليه لغير داع ، وقد طمأنتها . وأني لأعجب في نفسي من هذه الفتاة التي تطلق الرصاص على رجل

في لحظة ، ثم يجن جنونها قلقاً عليه في اللحظة التالية .

– ما دامت حالته مطمئنة ، فليس هنـــاك ما يمنع إذن من توجهنا اليه لاستكمال الاسئلة التي فاجأتنا السيدة اوتربورن قبل ان نتمّها ، حين كنا معه في آخر مرة .. فقد كان بصدد اطلاعنا على مضمون تلك البرقية .

– لا مانع عندي طبعاً ، وهي فعلاً برقية مضحكة كان يحدثني عنها منـذ قليل ، تتضمن هذياناً مضحكاً عن بطاطس وخرشوف وبنجر .

فقفز ريسي واقفاً ، وصرخ :

– يا إلهي !.. أن ريشتي هو ضالتي ! هو المتآمر الدولي ، فهذه هي الشفرة الدولية الجديدة لتلك العصابة الخطيرة . فالبطاطس كناية عن الديناميت . والخرشوف كناية عن الرصاص والبنجر كناية عن المسدسات .

ولا شك انه صمم على قتل لينيت دويل لأنها فضت تلك البرقيـــة خطأ وقرأت محتوياتها ، لأنه أيقن أن حياته في خطر إذا باحت بها ، وهي برقيـة تلفت النظر وتستحق الرواية ولو على سبيل التندر ، فما قولك في هذه النظرية يا بوارو ؟ أليس هو رجلنا ؟

– انه رجلك أنت .. وقد كنت دائماً أرتاب في هذا الشخص ، لأنه كان لا يتحدث إلا عن الحفريات ، وذلك يوحي بانه يمثل دور عالم الآثار في اصرار شديد غير طبيعي في العلماء الحقيقيين ، ولكن ليس ريشتي هو الذي قتـــل لينيت دويل ، فاني أعرف القاتل . ولكن لا أمل عندي في اثبـات التهمة عليه ما لم أستدرجه الى الاعتراف .

فقال الدكتور بسنر :

– ولكن الاعتراف يكاد يكون معجزة مستحيلة الوقوع .

– لا شيء يستحيل على هيركول بوارو !

- فمن هو القاتل ؟

- انني أيها السادة ممثل لا يقدم روائعه إلا أمام جمهور والحقيقة يا جمهوري العزيز انني كنت غبياً ، فقد سمحت لذلك المسدس الصغير المرصع أن يحيرني ويضللني . وكان سبب حيرتي أن المسدس قذف به في النيل ولم يتركه القاتل في مكان الجريمة ، ما دامت خطته قائمة على القاء الشبهة على جاكلين صاحبة ذلك المسدس ، وقد افترضت شتى الحلول لهذه المعضلة ، مـــا عدا الحل الصحيح الوحيد الذي كان آية في البساطة .. فالقاتل لم يترك المسدس بـل اخذه معه بعد القتل مباشرة لأنه كان لا بد له من ذلك . وهذه هي الحقيقة التي ستظهر فيما بعد .

* * *

ومال بوارو فوق صديقه الكولونيل ثم قال :

- لقد بدأنا البحث يا صديقي وفي ذهننا فرض معين ، وهو وجود شخص ثالث عدا جاكلين وسيمون من مصلحته القضاء على لينيت مع الصاق التهمة بجاكلين ، ولكن تلك النظرية كانت خطأ محضاً . لماذا ؟ لانه اذا صح ذلك لوجب القول بأن القاتل لم يدبر الجريمة من قبل ، اذ ان استخدام مسدس جاكلين ما كان ليتيسر لولا إطلاقها الرصاص على سيمون ، وذلك شيء من المستحيل التنبؤ به قبل وقوعه

وظروف هذه القضية توحي بأنها مدبرة تدبيراً محكماً وليست من ارتجال الساعة ، حتى لقد احتـــاج تدبيرها الى تخدير هركول بوارو نفسه . فقد نمت في هذه الليـــلة نوماً عميقاً ليس من عادتي ، وكان تخـــديري امراً

سهلاً لانني اجلس الى مائدة آل الرتون ، وهما لا يشربان النبيـــذ ، في حين احتسي انا النبيذ باستمرار ويضاف الى ذلك ان القاء المسدس في النيل قد خلق لنا مشكلة كبيرة ، لم يلبث ان حلها العثور عليه .

فكلنا نذكر ان جثة لينيت دويل كانت بها حروق حول ثقب الرصاصة بأن فوهـــة المسدس كانت لصق جلدها وان الفوهة لم تكن مغطاة بشيء .

ولما عثرنا على المسدس وجدناه ملفوفاً في شال الآنسة فان شويلر ، وبالشال ثقوب حولها حروق تدل على ان المسدس قد اطلق من داخل طيات الشال ، وقد عللنا ذلك بالرغبة في كتم الصوت .

اذن فالرصاصة التي اطلقت من داخل طيات الشال واحدثت به الحروق ، ليست هي التي أطلقت على لينيت دويل وأحدثت برأسها الحروق ، وهذه الرصاصة أيضاً ليست هي التي أطلقتها جاكلين على ساق سيمون دويل فقد كان هناك شاهدان للحادث لم يقررا أن المسدس الذي اطلقته جاكلين كان ملفوفاً بشال ، إذن فهناك رصاصة ثالثة أطلقت من ذلك المسدس . فلماذا ، وعلى من أطلقت ؟

وهناك نقطة أخرى .. لقد وجدت في مخدع لينيت دويل زجاجتين من طلاء الاظافر من لونين مختلفين جداً ، ففحصت الزجاجة التي تكاد تكون خالية ، وهي من لون مخالف للون الذي تصبغ به لينيت أظافرهـــا ، فاذا بالنقطتين اللتين فيها عبارة عن قليل من حبر الكتابة الأحمر .

ولم يكن هناك داع لأن تخفي لينيت دويل الحبر الأحمر في زجاجة طلاء الأظافر ، وفي وسعها ان تشتري زجاجة حبر بغير حاجـــة الى تستر ، فاذا ربطنا بين الحبر الأحمر وبين بقية الطلاء الأحمر الذي كان عالقا بالمنديل الرخيص

الذي وجد المسدس في قاع النيل ملفوفاً به من داخل الشال ، استنتجنا ان ما كان يصبغ المنديل هو ذلك الحبر الأحمر ، لأن الحبر الأحمر إذ ا أصاب نسيجاً لم يفارقه مهما تقع في الماء ، بل يبقى له أثر .

* * *

وننقل بعد ذلك الى مقتل لويز بورجيه ، فنجدها قد قتلت ولا شك على أثر محاولتها ابتزاز المال بتهديد القاتل واني اذكر جيداً انها تفوهت وهي تلقي بشهادتها بألفاظ ملتوية ، وكان ذلك على مسمع من مخدومهـــا سيمون دويل في قمرة الدكتور بسنر ، قالت لي : « كيف كنت أرى القاتل؟ ما كان ذلك ليحدث اللهم إلا إذا أرقت وصعدت السلم في تلك اللحظة فرأيته داخلا أو خارجاً »

وإذا بسيمون يهدىء أعصابها ويفهمهـــا أن احداً لا يتهمها بأنها رأت شيئاً . ولا شك انها بذلك الأسلوب الملتوي كانت تريد ان تلمح للقاتــل او لمن له به صلة انها رأته وانها ستتكلم إذا لم تقبض الثمن ، ولم يكن احد حاضراً فيما عداي أنا والكولونيل والدكتور الا مخدومها سيمون . فأينا المقصود بذلك التلميح ؟

فصاح بسنر حانقاً :

– ما هذا ؟ أمحاولة أخرى لأهانتي ؟

فجعلت كورنيليا تربت على ذراعه وتؤكد له انـــه ليس المقصود ، وأردف بوارو بسرعة

– وقد وردت طويلاً بين سيمون دويل والدكتور بسنر ولكن ما مصلحة

الدكتور بسنر في قتل ليليت دويل ، ولكن يقابل ذاك ان هنـاك أكثر من شاهد اجمعوا على ان سيمون دويل لم يغادر الصالون الى ان اطلقت جاكلين الرصاص ، وعلى انه حمل الى قمرة الدكتور بسنر بعد ذلك حيث استقر مهيض الساق ، فلا بد إذن ان الدكتور بسنر هو القاتل ، ولا سيا انه من الثابت ان لويز قتلت بطعنة من مشترط من مشارط الجراحة .

ولكن ردني هذا الاتهام ان الخادم لويز كانت تستطيع ان تختلي بالدكتور بسنر في أي وقت فهو كثير الدخول والخروج ، ولم تكن بها حاجة الى التلميح بهذا الأسلوب الملتوي في تلك اللحظة بالذات .

. فلا بد إذن ان هذه كانت فرصتها الوحيدة ، لماذا ؟ لا بـــد ان الشخص المقصود يمكنه مبارحة الغرفة ولا سبيل الى اختلائها به خلسة للمساومة ..أي انه سيمون دويل على وجه التحديد ، ولذلك بادر سيمون بتطمينها ، أشعاراً لها بأنه فهم الاشارة ، ومستعد للتفاهم .

فصرخ بسنر .

– هذا هذيان ، فاذا كنت أغضب لاتهامـــك أياي مدفوعاً بالحرص على كرامتي ، فأنني أغضب أيضاً لاتهامك سيمون دويل مدفوعاً بالحرص على عقلي ومنطقي ومعلوماتي الطبية ، إذ كيف تريد من رجل بعظام ساقـه كسر مضاعف ان يذهب فيقتل ثم يعود دون ان يراه أحد ؟ لقـد كان مستحيلاً ان يغادر فراشه تلك الليلة ..

– أعلم هذا . ولكن هذا هو الواقع ، وسترى : فعلى ضوء مقتل لويز بورجيه رحت اراجع الجريمة منذ البداية . فتذكرت ان سيمـون دويـل بقي وحده في الصالون عشر دقائق كاملة ، هي الوقت الذي انصرف فيه فانشورب وكورنيليا الى توصيل جاكلين الى قمرتها وتهدئتها ومحاولة منعها من القاء نفسها

في النيل ،فهل كان من الممكن ان يقترف سيمون جريمته في تلك الفترة ؟ ويؤيد هذا الفرض انه كان يعرف موضع المسدس .

وليس هناك ما يمنع من ان يكون قد اتفق مع جاكلين ، فرفست المسدس عمداً ، واطلاقاً الرصاص قرينة نافعة لابعاد الشبهة عن سيمون ، لأنه ما من عاقل يتصور قدرته على الجري وهو مكسور الساق،وقد رأى الشاهدان انطلاق الرصاصة ، كما رأوا المنديل الملوث بالدم .

ولكن إذا اكملنا الحلقة فان اطلاق الرصاص لم يكن عمـلا طائشاً من جاكلين التي تجيد الرماية باعترافها ، بل كان الهدف هو ساق مائدة من موائـد الصالون لا ساق سيمون وكان سيمون قد أعد الحبر الاحمر في زجاجـة طلاء الاظافر فسكبه في جيبه على المنديل ، ثم اخرج المنديل بسرعة فوضعه فوق ساقه وراح يتظاهر بالصراخ ويتلوى .

وفي الوقت نفسه بدأت جاكلين نوبتها العصبية ، وأخذت سيمون النخوة فاستنجد بكورنيليا وفانشورب ان يكتما الفضيحة ، وان يعنيا بجاكلين أولاً كي يطمئنا على حمايتها من التهور ، بوضعها تحت رعاية الممرضة الانسة بوبرز ،كي يتوافر لجاكلين بذلك دليل بعدها عن الجريمة المدبرة .

* * *

وتلك الترتيبات تتيح لدويل عشر دقائق يسرع فيها بالمسدس المرفوس الى قمرة زوجته فيقتلها . وقد فعل ذلك حافي القدمين ، ثم أخرج زجاجة طلاء الاظافر الخالية فوضعها حيث وجدناها ، لأنه ادرك أن تضميد جرحه ستصحبه

عملية ابدال الملابس ، ولا ينبغي ان يعثر الطبيب على تلك الزجاجة في جيبه .

وكان عليه أيضاً ان يتخلص من المنديل ، وهو في الوقت نفسه كان قد اختلس شال الانسة فان شويلر ، فعاد بسرعة الى الصالون وأدخل المسدس بين طيات الشال ، ثم أطلقه على ساقه ، كي يكتم الشال الصوت ، ثم فتح النافذة التي وراء ظهره وتحامل على نفسه وقد كتم الألم حتى وصل الى النافذة والقى بالمسدس ملفوفاً في الشال والمنديل الى النيل . وقد وجده الدكتور مستنداً الى النافذة بحجة استنشاق الهواء حتى لا يغمى عليه . وبذلك امتنع عليه ان يترك المسدس في مخدع زوجته .

* * *

والحقيقة ان احكام الجريمة على هذه الصورة يرجع الى ذكاء جاكلين النادر ، وكنت قد ادركت منذ البداية انها لا تتورع عن شيء في سبيل الظفر بحبيبها ، وكنت أيضاً أرى من معاملة سيمون لزوجته انه يبالغ في أظهار عواطفه المزعومة نحوها امام الناس ، وذلك غير مألوف في الرجل الانجليزي

وفي ليلة الحديقة بأسوان ، عندما كانت جاكلين تقول انها تتمنى ان تقتل لينيت بمسدس تغرسه في لحم رأسها ، وكان المسدس في يدها ، زعمت انها رأت شبحاً يسترق السمع ، وقد تأكدت من انه لم يكن أحد يسترق السمع . إذن هي قد زعمت ذلك لتضللني فيما بعد عندما تقع الجريمة ، فينصرف ذهني الى ان القاتل كان هو ذلك المتلصص ، وقد فحصت حجرة الصالون ، فوجدت الرصاصة الصغيرة مستقرة في ساق احدى الموائد .

ـ ولكن من قتل لويز ؟

قتلتها جاكلين ! فان سيمون حين سمع تهديد لويز طمأنها ، ثم طلب مني أن ادعو جاكلين لمقابلته كي يطمئن عليها ، وتركتها معاً . فأفضى اليها بتهديد لويز وكلفها بالاتصال بها ، وقامت جاكلين بالمهمة على أتم وجه مزودة بمشرط من مشارط بسنر التي كان سيمون يعرف مكانها جيداً بطبيعة الحال ، ثم غسلت المشرط واعادته الى مكانه ، وشاء سوء طالعها ان تراها السيدة اوثربورن ، خارجة من قمرة لويز ، وكانت جاكلين تتوقع خلو الطريق ساعة الغذاء ،فلما أسرعت السيدة اوثربورن الى قمرة الطبيب لتبلغنا معلوماتها المثيرة مزهوة بها ، راح سيمون يسألها بصوت عال جداً ، كي يصل صوته الى جاكلين التي كان يعلم انها في القمرة المجاورة مع الانسة روزالي .

فتنبهت وتحيرت ماذا تصنع ، وفي هذه اللحظة تذكرت ان بننجون كان قد صرح أمام الجميع بأنه يحمل مسدساً ضخماً فبادرت الى قمرته وعادت بالمسدس ، ووقفت تنصت وراء ستارة الباب . وفي اللحظة المناسبة ضربت ضربتها . وقد قلت أنا عن الطريق التي سلكها القاتل انها غامضة ، والواقع ان قمرة جاكلين كانت تبعد عن قمرة الدكتور بسنر كثيراً ، فلم يكن أمامها سوى ان تقفز فوق الحاجز الى السطح .

ـ ولكن مسدس جاكلين لم تنطلق منه إلا رصاصتان فقط .

ـ لقد فكرت في كل شيء بالتفصيل ، وأحضرت معها رصاصة اضافية وضعها سيمون في المسدس قبل ان يطلقها على نفسه .

والآن عليك يا سيدي الدكتور ان تعد مريضك القاتل لمواجهة الموقف

لقد كان بوارو مصيباً في كشف هذه الحقيقة ، والوصول الى معرفة القاتل، فان سيمون قد تآمر مع حبيبته جاكلين على سلب اموال لينيث بطريقة شرعية فتظاهر بحبها وتزوجها وهو يعلم انها إذا ماتت وقتلت آلت ثروتها اليه ، فينعم بها مع عشيقته جاكلين التي دبرت معه هذه المؤامرة الغريبة .

الخاتمــــة

جريمة حب

وصلت الباخرة الكرنك الى مرساها ببلدة الشلال جنوبي اسوان مع بواكير أشعة الفجر . وكان بوار يتأمل منظر الصخور البارزة من ميـاه النهر عندما وافاه ريسي قائلاً :

لقد أعددت لكل شيء عدته .. وسيكون ريشتي اول من ينزل الى الشاطىء ، وفي يديه الاغلال الحديدية ، واني لسعيد بالقبض على ذلك المتآمر الدولي الخطر والسفاح الاثيم

ـ لا تنس انه حسب ، أول الأمر ، ان جاكلين هي التي اعترفت لنا فلم يجد بدأً من الاعتراف .

ـ انه يستحق الشنق .. فهو نذل خسيس ، ولكني آسف لمصير الفتاة ؟

ـ انها امرأة خطرة ، لا تبالي بالعواقب .

وعندئذ اقبلت عليهما كورنيليا وربسون فقالت :

ـ لقد كنت معها ، اعني مع جاكلين .. فانني اشفقت عليهـــا من ذلك الحبس الذي لا تفارقها فيه كبيرة الخدم .

وفي هذه اللحظة اقبلت الآنسة فان شويلر ، فصاحت بابنة اختهـــا في غضب :

- لقد اخطأت خطأ شائناً بالجلوس مع هذه المرأة ، ولهـذا سأبعث بك فوراً إلى الوطن .

- ولكنني لست عائدة الى الوطن يا خالتي بكل اسف ، لأنني سأتزوج !

- اذن فقد اصغيت لصوت العقل اخيراً ؟

- لقد اسأت فهمي يا خالتي ، فليس فيرجيسون هو الذي سأتزوجه ، بل الدكتور بسنر الذي طلب يدي .

وفي هذه اللحظة القت الباخرة مراسيها ، وضرب حول الركاب نطاق ، ثم طلب اليهم ان يتريثوا فلا ينزلوا . وسيق ريشتي وهو شاحب الوجه الى الشاطىء . وبعد برهة جيء بنقالة فحملوا عليها سيمون دويل ، وكان يبدو كالموتى ، وقد ارتسم الفزع على كيانه وفارقته ملاحته المشهورة كأن لم يكن لها وجود ، وتبعته جاكلين دي بلفور .

وتراجعت قليلاً فحمل الحمالون المخفة ، وانحنت جاكلين كي تربط حذاءها ، ثم ارتفعت يدها الى قمة جوربها ، وانتسبت وفي يدها شيء ما . وكان هذا الشيء مسدساً .

واختلج سيمون دويل اختلاجة واحدة قوية ثم سكن ، فـألقت اليه بابتسامة غائمة ، ثم وجهت المسدس الى قلبها وضغطت الزناد ، فسقطت حيث كانت واقفة ولا حراك بها .

وصاح ريسي مستنكراً ، أما بوارو فلم يتحرك ، وأحس بيد توضع فوق ذراعه ، فالتفت ليري السيدة الرتون تقول :

- لقد كنت تعلم سلفاً .. أليس كذلك ؟

- بلى .. فقد كنت اعرف ان لديها اثنين من ذلك النوع

- وهل كنت تريدها على ان تختار هذا الطريق ؟

- نعم فهذه ميتة تليق بها

- ولكن الوغد حظي بميتة اسهل مما يستحق . والآن آمنت ان الحب

العميق قد يكون وبالاً عظيماً ..

- نعم .. ولامر ما كانت جميع قصص الحب الكبرى من نوع المأساة .

ووقع نظر مدام الرتون على ابنها متأبطاً ذراع روزالي ، فقالت بحماس :

- ولكني احمد الله على ان في الدنيا ايضاً حباً يؤدي إلى السعادة .

- احمدي الله يا سيدتي على ذلك ، فبالشكر تدوم النعم .

وبدأ الركاب يغادرون الكرنك ، ليتفرقوا بعد ذلك ، فمضى كل منهم إلى وجهته بعد ان جمع بينهم القدر لأمر كان منذ الازل مقدراً مسطوراً .

- تمت -